مجلة أوام الثقافية

فصلية، غير ربحية، مستقلة، العدد الرابع.

صادرة عن مركز جدل للسلام.

jaadal.org @jaadalorg info@jaadal.org

- حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.
- لوحة الغلاف من أعمال الفنان: سعد الشهابي، محرر المجلة للمحتوى المرئي.

رئيـس التحـريـر:

بشـار العقـاب

مـدير التحـريـر:

عبـده تـاج

المحـررة المسـؤولة:

د. الزهراء العريقي

محـرر المحتوى المرئي:

سعـد الشهـابي

مسؤولة التنسيق:

نور محمد

فصلـية ،غيـر ربحيـة، مستقـلة، العـدد الرابع

صادرة عن مركز جدل للسلام

الفصـل الأول - 2026

مجلـة أوام الثقـافية

مجلة فصلية مستقلة، تصدر عن مركز جدل للسلام. خطوة هادفة نحو الضوء، لنشر ثقافة السلام والتعايش. لا ننتمي، ولا ندين، ولا نروّج لأي دين أو حزب أو حكومة. نحن فقط نبحث عن الإنسان وسط الركام، وننحاز للكلمة التي تحرّر العقل.

مـوقع المجلـة:

تبث المجلة على موقعنا الالكتروني الرسمي (jaadal.org).

النشـر :

نستقبل مشاركاتكم باسم رئيس التحرير. يرجى قراءة سياستا الخصوصية و النشر قبل ذلك. عبر البريد إلى:

ألمانيا . كلاوستال تسيللرفيلد . شارع برلينر . 8

(Clausthal - zellerfeld. Berliner Str.8, Germany)

أو على إيميل التحرير :

awam@jaadal.org

الحقـوق الثقـافيـة:

جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمجلة و لا يجوز الاقتباس أو إعادة النشر إلا بذكر

المجلة و الصفحة كمصدر.

لأن مجلة أوام الثقافية غير ربحية فهي تسمح بطباعة هذا العدد من المجلة و تداوله و بيعه.

- حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

سيــاســة الخصــوصيــة

أ مجلــة أوام الثقــافيــة غيــر ربحيــة، و النشــر فيهــا طــوعي و ليســت - بالضــرورة - ملــزمــة بــأي مــردودات مــاليــة للكُتــاب.

ب مجلــة أوام الثقــافية مستقــلة، و لا تتبــع أو تستقــي أوامــر أي جهــة ســواء كــانــت حكــوميــة أو مكــوّن سيــاســي أو دينــي أو تنظيمــي غيــر ربحــي.

ج مجلــة أوام الثقــافيــة منفتحــة علــى كــل الآراء و الأفكــار و الحلــول، و تسعــى لإيجــاد وجهــة نظــر يجتمــع حــولها المختلفــون.

د مجلــة أوام الثقــافيــة لا تتبــع أو تــزّوج لأي عقيــدة أو فكــر دينــي أو سيــاســي ... إلخ.

هـ مجلــة أوام الثقــافيــة لا تستقــبل أي آراء متطــرفة، ضــد أي شخــص أو مجتمــع أو كيــان أو حكــومــة.

و مجلــة أوام الثقــافيــة لا تستقبــل أي آراء عنصــرية أو منــاطقيــة أو مــذهبيــة دينيــة.

سيــاســة النشــر

أ المــواد المــرسلــة يجــب أن يكــون لهــا اتصــال بالأدب أو الــفن أو الثقــافة .

ب المــواد المــرسلة للمجلــة لا ترســل إلى أيــة جهــة أخرى للنشــر، و إلا سنتــوقــف -آسفــين- التعــامــل مع أصحــابهــا.

ج المــواد المــرسلــة يجــب أن تكــون من حــروف صــاحبهــا و يسمح بالاقتبــاس مــع ذكــر المصــدر بالتحــديــد و إلا سنتــوقــف عــن التعــامــل مــع أصحــابهــا حفــاظــاً للحــقوق الفكــريــة.

د المــواد المــرسلــة يجــب أن تلتــزم بقــواعــد الكتــابة النحــويــة و الإمــلائيــة.

هـ المــواد المــرسلــة يجــب أن تخلــوا مــن أي نــزعــة دينــيــة أو عــرقيــة ... إلخ.

و لا يجــب أن تــزيــد المــواد المــرسلــة عن 6000 كلــمة و لا تقــل عــن 500 كلمــة باستثــنــاء الشــعر.

ز المــواد المنشــورة تعبــر عــن وجــهة نظــر كُتــابهــا، و المجلــة ليســت مســؤولــة عمــا يُــراد بهــا مــن آراء.

ح المــواد المــرسلــة للمجلــة ـ ســواء نشــرت أم لم تُنشــر ـ لا تُــرد لكُتــابهــا إلا ببــريــد مــوقــع مــن رئيــس التحــريــر أو مــن ينــوب عنــه.

الافتتـاحيـة

9 لا تغثــوش أحـــد..

بشــار العقــاب، رئيس التحرير.

مقالات رأي

15 اِجرِ أمرَ الله يا وشّاح": أسلمة السيف عند أحمد بن يحيى حميد الدين...

عبده تـاج، مدير التحرير.

19 الاقتصاد أقصر طريق للسلام في اليمن.

د. عبدالله أحمد العقاب.

21 السلام المجتمعي في اليمن: رؤية للتعايش ونبذ الكراهية.

د. الزهراء العريقي، المحررة المسؤولة.

23 كيف تعلمنا الحكايات اليمنية القديمة أن نختلف دون أن نُفني بعضنا؟

صابر الجرادي.

26 التناقض كبُعد أساسي.

خالد اليماني.

تحليلات

31 حضرموت بين التاريخ والسياسة الراهنة: الانقسامات المجتمعية والتحولات الاستراتيجية في شرق اليمن. تحليل مركز جدل للسلام للأوضاع الأخيرة في اليمن.

39 النقد السياسي في رواية "صلاة القلق" بين الفانتازيا والتاريخ المتخيل.

أ.د. أحمد السّري.

44 فلسفة الإنسان المتفوق عند زرادشت.

عبد الفتاح إسماعيل الخضر.

نصوص وسرد

47 الوصية العاشرة.

ذكريات عقلان.

49 ستعرف في الأخير أو قد لا تعرف.

صالح محمد.

52 شباك مهجور!

ليلى حسين علي.

54 رسمية... التي لم تسمع المطر.

شمس جبلة.

- هذه اللوحة لـ سعد الشهابي، محرر المحتوى المرئي.

لا تغـــثوش أحـد

بشـار العقـاب

لا تغثوش أحد..

ـ محمد بن إسماعيل العمراني

الناس يخرجون اليوم وهم يعرفون أنه قد يطول دون سبب واضح. رجل يفتح الباب ببطء، ينظر يمينًا ويسارًا، ثم يمشي. امرأة تتوقف لحظة قبل أن تتحرك، تعدّل ما تحمله، وتختار طريقها. شاب يخرج بلا وجهة دقيقة، يعرف فقط أنه سيبقى قريبًا من الناس، بعيدًا عن أي لفت نظر.

الحركة قليلة لأن الخطر لا يحب الضجيج. الخطوات قصيرة. الوقوف أطول من السير. كل شخص يراقب المسافة بينه وبين غيره. الاقتراب الزائد قد يُفهم إعتداء على الوطن. لذلك تُدار الحركة بحذر جماعي غير معلن. في هذا الحذر، لربما تشكل نوع جديد من التعايش قائماً على الخوف. أحدهم يغيّر مساره ليتجنب الاحتكاك. آخر يؤجل عبوره دقائق إضافية. لأن السلام صار أولوية عملية. الناس يبحثون عن يوم يمرّ دون أذى.

الكلام أقل من اللازم. السؤال يُختصر. الجواب يُختزل. لا مزاح عابر، ولا فضول. كل كلمة محسوبة، لأن أي زيادة قد تُثقِل الجو. هذا الصمت حماية متبادلة. شاب يحذف أرقامًا من هاتفه، لأنها كثيرة. امرأة تُخفي ورقة في حقيبتها، ثم تُعيد ترتيبها مرة أخرى، فقط لتتأكد أنها لن تظهر عند فتح مفاجئ.

الخوف يعيد صياغة الحركة. الناس يسيرون بطريق أطول لأنه أقل ظهورًا. والشارع الأقرب يُستبعد لأنه مكشوف.

في الحديث، يتبدّل الأسلوب. لا أسماء كاملة، لا أماكن محددة، لا مواعيد دقيقة. الجمل تُترك ناقصة عمدًا. من يفهم، يفهم. ومن لا يفهم، لا يُسأل. هذا النقص المقصود صار لغة.

الضحك يُبتلع في منتصفه. لأن أي زيادة تُحسب. في هذه المدينة، يتكوّن نوع آخر من التعايش. الناس لا يتقاربون، لكنهم يتواطؤون على البقاء. لا يساعد أحد أحدًا علنًا، لكنهم لا يورّطون بعضهم. كل شخص يحرص على ألا يكون سببًا في سؤال، أو شبهة، أو توقّف لا داعي له. هذا الحرص المتبادل يصنع توازنًا هشًا، لكنه قائم. والسلام هنا مجرد تقليل للخسائر. اختيار كلمات أقل، ألوان أهدأ، طرق أضيق، ذاكرة أخف. حين ينجح هذا الاختيار، يمرّ اليوم دون أثر. ليصبح العيش ممكنًا.

هنا في مدينتي صنعاء، من يتأخر لا يُستعجل. من يسرع يُبطئ تلقائيًا. الإيقاع العام يُفرَض من الداخل، من إحساس مشترك بأن أي احتكاك زائد قد يتحول إلى مشكلة لا أحد مستعد لها. هنا، السلام مهارة بقاء.

في هذا السياق، تُدار العلاقات بأقل قدر ممكن من التفاعل. لا تعارف، لا جدل، لا فضول. كل شخص يكتفي بما يضمن له المرور. هذا الاكتفاء هو اقتصادًا في الطاقة. الجميع مرهق، والجميع يعرف أن الإرهاق لا يحتمل صدامًا جديدًا.

التعايش يتجسد في هذا القرار الجماعي غير المعلن: لن نضيف عبئًا على اليوم. لا أسئلة، لا تعليقات، لا تصحيحات علنية. من يخطئ يُترك ليُكمل طريقه. من يتردد يُمنح وقتًا إضافيًا. هذا التساهل المحدود يصنع توازنًا هشًا لكنه فعّال.

في أيام تتراكم فيه الأسباب للاشتعال، يصبح تقليل الأذى إنجازًا. يصبح السلام هو القدرة على العبور دون أن تترك خلفك مشكلة، ودون أن تجرّ غيرك إلى مواجهة لا يريدها.

في هذا الاقتصاد الصارم، تُعاد صياغة فكرة الكرامة. ليست في الصوت العالي، ولا في الوقفة الصلبة، إنما في القدرة على العبور دون إذلال ودون استفزاز. كل شخص يحمي نفسه بحساب دقيق لحجمه في الفضاء العام.

الآخرون ليسوا أعداء، لكنهم ليسوا شهودًا أيضًا. العلاقة بينهم تُدار على قاعدة المسافة الآمنة. اقتراب يكفي للتسيير، وابتعاد يمنع الاحتكاك. هذا التوازن الدقيق يُبقي اليوم قائمًا، ويُبقي النار في حدّها الأدنى.

السلام يُمارَس على شكل امتناع. امتناع عن الزائد، عن الفضول، عن التحدي. والتعايش لا يحتاج أكثر من هذا الامتناع المتبادل. حين يلتزم الجميع به، تستمر الحركة دون انفجار.

خلال الطريق، تتبدل السرعة أكثر من مرة. إيقاع يتباطأ عند نقاط معروفة، ثم يعود إلى حدّه الأدنى المقبول. هذا التذبذب صار مألوفًا، والناس تعلّموا كيف يتحركون داخل هامش يسمح لهم بالوصول دون لفت النظر.

في هذا السير، تختفي فكرة السبق. لا أحد يحاول أن يكون الأول. المهم هو البقاء داخل التيار، لا خارجه. هذا الإدراك يجعل الحركة أكثر انضباطًا، وأكثر قابلية للاستمرار.

الطريق يطول، لكن التوتر لا يزيد. بالعكس، التمدد يخفف الاحتقان. السير يمنح وقتًا إضافيًا للتفكير دون أن يتحول إلى قلق. كل خطوة تُبعد الشخص عن نقطة سابقة وتقرّبه من مساحة أوسع، حتى لو لم تُسمَّ بعد.

يخفّ الحمل مع كل خطوة. لأن الناس يتخلّون عمّا لا يلزم. الخطوة تُصبح أخف، الكتف يستقيم قليلًا، والنَفَس ينتظم دون جهد ظاهر. الحركة هنا تبحث عن حدّ أدنى يسمح بالاستمرار.

يظهر ميل جماعي إلى الانضباط الذاتي. لا حاجة لتوجيه، ولا حاجة لتصحيح علني. كل شخص يضبط نفسه بما يكفي خوفاً من قوات الأمن.

الاقتراب من منطقة أكثر حياة لا يغيّر السلوك فجأة. بالعكس، يزيد الحرص. الناس يعرفون أن الانتقال من الهدوء إلى النشاط يحمل مخاطره الخاصة. لذلك، تُدار الحركة بعناية أكبر، والجميع يتفق ضمنيًا على ألا تتحول الحيوية إلى فوضى.

تزداد الكثافة دون أن تتحول إلى اندفاع. الأجساد تتجاور أكثر، والإيقاع يتطلب انتباهًا أعلى. من اعتاد المساحة الأوسع يعيد ضبط حركته. لا أحد يفرض طريقه، لكن كل شخص يحمي خطه بدقة محسوبة.

تتقاطع الرغبات. البعض يريد العبور، البعض يريد التوقف، البعض يبحث عن ملاذ قصير من اليوم. رغم هذا التباين، تستمر الحركة. لا صراخ، لا احتجاج، لا محاولات لفرض أولوية.

الانتباه ينتقل من الذات إلى المحيط. كل شخص يقرأ المسار بعينه قبل أن يقرأه بخطوته. هذا الوعي العملي ينبع من إدراك أن أي خطأ صغير قد يتضخم سريعًا. لذلك، تُختار الحركات الآمنة، حتى لو كانت أبطأ.

التعايش في هذه المرحلة لا يحتاج خطابًا ولا شعارات. يكفي أن يمرّ الجميع دون أن يُقصي أحدٌ الآخر. حين يحدث ذلك، يستمر المسار، ويظل الباب مفتوحًا للخطوة التالية داخل الشارع نفسه.

تتغير طريقة المشي. الخطوة لم تعد للعبور فقط، بل للتعايش مع وجود آخرين في المسار نفسه. الأجساد تتحرك بمحاذاة لا بتقاطع. كل واحد يحتفظ بمسافته الخاصة دون أن يعزل نفسه عن التيار العام.

يظهر حرص جديد: ألا يُستولى على الفراغ. من يبطئ يترك مجالًا، ومن يتوقف يفعل ذلك على الحافة. لا أحد يحتكر المسار، ولا أحد يتصرف مثل صاحب المكان. هذا السلوك يُفهم فور الدخول.

التوقف هنا مؤقت بطبيعته. الجسد يعرف أنه ضيف. النظرة لا تطيل التحديق، والحركة تستأنف قبل أن تتحول إلى عبء. حتى الرغبة في الجلوس أو البقاء تُضبط بحدّ لا يضغط على غيره.

تتشكل علاقات لحظية ثم تنحلّ. اقتراب قصير، تباعد هادئ، استمرار بلا أثر. لا تعارف، ولا قطيعة. هذا النمط يسمح للجميع بالبقاء دون شعور بالإقصاء أو السيطرة. المكان يتحمل هذا التبادل لأنه مبني على الاحترام العملي لا العاطفي.

في هذا السياق، يصبح السلام قدرة على المشاركة دون استحواذ. أن تكون حاضرًا دون أن تزاحم، وأن تتراجع دون أن تختفي. هذا التوازن الدقيق هو ما يمنح الشارع طاقته، دون أن يحوله إلى ساحة صدام.

تبلغ الحركة حدّها الأعلى دون أن تنفلت. الأجساد قريبة بما يكفي لتشعر ببعضها، وبعيدة بما يكفي لتتفادى الصدام. الرغبة في التقدم، في التوقف، في الالتفات، كلها حاضرة، لكنها مكبوحة.

الإيقاع هنا يتطلب تركيزًا أعلى. أي تسرّع يُربك السلسلة، وأي تباطؤ زائد يخلق ضغطًا خلفه. لذلك، تُقاس الحركة بحدس دقيق. خطوة للأمام، نصف خطوة جانبًا، ثم استقامة جديدة.

في هذه المرحلة، تختفي الفردانية تقريبًا. لا أحد يتحرك وحده تمامًا، ولا أحد يذوب كليًا في الجماعة. التوازن بين الاثنين هو ما يمنع الفوضى. كل شخص يعرف أن حضوره مؤثر، حتى لو بدا صغيرًا، لذلك يُدار هذا الحضور بحذر.

السلام في هذه الذروة نتيجة لسلسلة طويلة من القرارات الصغيرة التي اتخذها الناس دون تنسيق، لكنها اتجهت في المسار نفسه. ومع كل قرار ناجح، يثبت أن العيش المشترك ممكن، حتى في أكثر النقاط ازدحامًا.

تستقر الحركة عند حدّ يسمح بالبقاء. لا اندفاع بعد الآن، ولا انسحاب. الخطو يتحول إلى تموضع مؤقت، والجسد يجد مكانه دون أن يطالب به. من يصل لا يحتفل، ومن يمر لا يُقاطع. كل شيء يستقر لأن السلطة قررت التوقف عند هذا الحد.

التجاور هنا مكتمل. الاختلافات حاضرة لكنها غير متوترة. الإيقاع لا يحتاج ضبطًا مستمرًا، كأنه تعلّم نفسه بنفسه. من يدخل يلتقط النسق فورًا، ومن يخرج يفعل ذلك دون أن يترك فراغًا مزعجًا. والحركة تُغلق دائرتها بهدوء.

الوجود يصبح أخف. لا حاجة لإثبات، ولا رغبة في فرض أثر. كل شخص يكتفي بما يضمن له لحظة عادية في يوم غير عادي. هذه العادية مكلفة، لأنها نتاج التزام طويل بعدم الإيذاء، بعدم الاستفزاز.

لهذا حين سُئل محمد بن اسماعيل العمراني عن الطريق، لم يفتح أبواب السماء، إنما أغلق باب الأذى. قال ما يكفي ليُعاش، في بلدٍ تكدّست فيه الأسباب للكراهية، صار الامتناع فعلًا، وصار ترك المساحة للآخر نوعًا من النجاة المشتركة.

"لا تغثوش أحد" حدًّا بسيطًا، لكنه كافٍ ليبقى اليوم ممكناً: ألا تثقل الآخر بما لا يحتمل، ألا تحوّل وجودك عبئًا. في المدينة الممزقة، وسط النار المتكارهة والخوف المستتر.

ومن هذا الامتداد الهادئ تبدأ صفحات العدد الرابع من أوام الثقافية. لا وعد بالسلام المطلق، ولا خطاب أخلاقي عريض، أكثر مما هو محاولة أن تكون الكلمات سلام: بلا ضجيج، بلا استفزاز، بلا زيادة على اليوم. هنا تُفتح الصفحات للقراء الكرام كي يجدوا متنفسًا صغيرًا وسط الضجيج، مساحة لا تضيف أعباء جديدة، ولا تطلب أكثر من الانتباه البسيط، الاحترام الصامت، والقدرة على السماح للجميع بالمرور.

هنا، في هذا العدد، لا نحب الصراخ، ولا نسعى للمال، نحن في أوام نمشي مع القارئ خطوة خطوة، متقاربين في الحدود، متباعدين في الحرص، لنترك الطريق سالكًا للجميع، نحرص ألا نغثّ أحدًا.

من هنا تُفتح هذه الصفحات..
لتجريب هذا الحدّ الأدنى في الكتابة نفسها، أن نمشي بالكلمات مع الناس في يومهم، بلا زيادة، بلا افتعال، وبلا إزعاج. هذا العدد من أوام لا يعد بالسلام، لكنه لا يضيف حربًا...

بشـار العقـاب، رئيس التحرير

- **االلوحة من أعمال الفنان: سعد الشهابي، محرر المحتوى المرئي.**

اِجرِ أمرَ الله يا وشّاح": أسلمة السيف عند أحمد بن يحيى حميد الدين...

عبـده تـاج، مدير التحرير

ابتدأ أحمد بن يحيى حميد الدين مسيرته السياسية عندما كان يتلقى الدروس الدينية مع أشقائه، حيث أرغمهم على مبايعته على ولاية عهد أبيه الإمام، بالطريقة الإسلامية، بعد جرح أحدهم. وعندما أصبح وليًا للعهد، عاصر العديد من التمردات على أبيه، كالثورة التهامية التي طلب بسببها من أمير تعز أن يحشد أتباعه للجهاد في سبيل الله والدفاع عن مملكته، قائلًا:

"يا عباد الله، قوموا للجهاد واضربوا من كان مفسدًا للبلاد، وانصروا ابن الإمام"

حتى دخل تهامة، وتحديدًا بيت الفقيه، واستخدم ضد أبناء القبيلة الشائعات والتهم، من ضمنها اتهامهم بالابتعاد عن الإسلام ("الزرانيق"). وخلال المعركة أحرق النخيل، واقتاد الخصوم إلى سجن قلعة القاهرة في تعز، وقد بلغ عددهم سبعمائةَ أسيرٍ. عذّبهم في القلعة ثم حاكمهم وأعدمهم، حسب ما ورد عن المؤرخ اليمني القاضي الأكوع.

أُطيح بأبيه عن طريق الثورة الدستورية عام 1948، وكان حينها في تعز ليستنجد بقبائل طوق صنعاء حيث توجد الأغلبية الزيدية، لأن الشافعية في المناطق الوسطى كانت مشكوكًا في ولائها.

وحين تمكّن من استعادة الحكم، أعدم ما يقارب خمسين شخصًا ثأرًا لأبيه دون أحكام شرعية، لكنه بعد ثلاثةِ أشهرٍ استصدر من رئيس الاستئناف الأعلى ومفتي الدولة حكمًا "إسلاميًا". أما بقية المساجين فقد بعثوا له رسائل كثيرة يترجون فيها الإفراج عنهم من تعز وصنعاء وغيرها من المحافظات، لكنه كان يرد عليهم قائلًا:

"عافاكم الله، لا بد من استمرار حبسكم حتى يتميز الخبيث من الطيب."

لم يكن أحمد حميد الدين سوى جزء من مجتمع يرى الإسلام المرجعية الأساسية؛ فمثلًا عندما فرّ السيف إبراهيم، ابن يحيى حميد الدين، رأى الأحرار أنها أول ثغرة في النظام الملكي ولقبوه بـ"سيف الحق"، وتصدّرت آية النبي إبراهيم في نصحه لأبيه:

"يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطًا مستقيمًا."

وفي مسألة مقتل يحيى حميد الدين، رأى رجال الدين – حسب البردوني – أن نصر أحمد حتمي، مستشهدين بالآية:

"ومن قُتل مظلومًا فقد جعلنا لوليه سلطانًا فلا يُسرف في القتل إنه كان منصورًا."

وبعدها بدأت فترة حكمه التي استمرت خمسة عشر عامًا، وخلالها وصف نفسه بأمير المؤمنين، والحاكم بأمر الله، والناصر لدين الله، ولقّب كل ابنٍ له بـ"سيف الإسلام". في فترة حكمه، حضر الدين الإسلامي كأول مرجع استثمره في خلافاته السياسية والتخلص من الخصوم، متكئًا في أحقية إمامته وأحكامه على تاريخ من الجدل الديني-السياسي كان أكبر اهتماماتها السلطة.

فـ الهادي، مؤسس الزيدية في اليمن، ومن بعده من أئمة الزيدية، والإمام لقب أطلقوه على أنفسهم – حسب المؤرخ اليمني القاضي علي الأكوع – اهتموا بفكرة الإمامة وحصرها في الحسن والحسين، حتى جعلوها أصلًا من أصول الدين الخمسة المتضمنة لعقائدهم، وهي الأصول المعروفة عند المعتزلة، إلا أن الزيدية استبدلوا "المنزلة بين المنزلتين" بالإمامة.

وفي مقدمته للكتاب الذي ترجمه بعنوان: "عندما كنتُ طبيبةً في اليمن" لكلودي فايان، يقول الدبلوماسي اليمني محسن العيني، الذي عاصر فترة الثورة:

حين عاد أحمد حميد الدين من رحلته العلاجية من روما، والجماهير في استقباله، وقف بينها شاهرًا سيفه، وراح يتوعد الشعب مردّدًا عبارته المشهورة:

"أنا أحمد يا جناه.. من يفكر في معارضتي والتمرد علي، والله لأقطعن الأيدي والأرجل من خلاف، ولأقتلن كل من تحدثه نفسه بالخروج علي، ومن لم يقتنع فليجرب، وهذا الفرس وهذا الميدان."

ويضيف: "وفعلًا بدأ بتنفيذ أفكاره السوداء، حيث أخرج شابًا وأمر بقطع يديه ورجله، وفعلاً تم قطع يديه..."

عايش في فترة حكمه قلق الانقلابات والتآمرات عليه، تلك التي أدت إلى قيام حركة 1955 بقيادة المقدم أحمد الثلايا مع بعض الضباط في الجيش، حيث استغل هؤلاء الضباط الخلافات العائلية بين الإمام أحمد وأخيه عبد الله، وتواصلوا معه واستمالوه إلى صفوف الثوار. وحاصر الجيش قصر الإمام في تعز، وتم إجباره على التنازل لأخيه عبد الله، إلا أن الإمام أحمد استطاع خداع الثوار والضباط، وقام بشراء العديد منهم، فتم إجهاض الثورة واستعادة الحكم بعد ثلاثة أيام.

وفي تسجيل نادر له عقب الأحداث، وجّه خطابًا حمّل فيه مسؤولية ما سيحصل من ردع لمن سماهم محبي الفتن، قائلًا:

"قد أشار العلماء وذوو الفضل والعُقّال والمشايخ، وحمّلونا حُجّةَ الله، إذا تساهلنا في أمرهم ولم نُعين من ينثالون إليه في المهمات."

وقام بإعدام أخيه والعديد من الضباط وقيادة الحركة الوطنية، أبرزهم المقدم الثلايا، حيث أحضره إلى ساحة الإعدام وخاطبه بأنه درّسه وأعطاه كل شيء، فلماذا خانه وأنكر الجميل؟ فردّ عليه الثلايا:

"نعم، فعلتَ لي كل هذا، ولكن ماذا فعلتَ للشعب؟"

وبعد أن استفتى حاشيته وطالبوه بإعدامه، أمر سيافه الذي يُسمى الوشّاح قائلًا: "اِجرِ أمرَ الله يا وشّاح."

وقبل ثورة 62 التي أطاحت به، في السادس من مارس، جرت محاولة اغتياله في مدينة الحديدة من قبل بعض الضباط، إذ حاولوا إطلاق النار عليه مما أدى إلى إصابته إصابات غير قاتلة، إلا أن المحاولة فشلت، وتم القبض على الضباط الثلاثة ومحاكمتهم وفقًا للجنة شكّلها الإمام، ليُعدموا بالسيف، وهي طريقته المعروفة للتخلص من أعدائه.

- حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

الاقتصاد أقصر طريق للسلام في اليمن.

د. عبدالله أحمد العقاب

يُعدّ اليمن اليوم أحد أكثر البلدان تضررًا من النزاعات المسلحة. فقد عانت البلاد من مشاكل سياسية داخلية. ذلك أن سنوات الحرب أدت إلى تدمير البنية التحتية، وانهيار مؤسسات الدولة، وتفشي الفقر والبطالة والجوع. فالاقتصاد اليمني يُعدّ من أضعف الاقتصادات في المنطقة العربية، نتيجة سنوات طويلة من الصراع وعدم الاستقرار. يعتمد تقليديًا على الزراعة، والصيد البحري، وتحويلات المغتربين، إضافة إلى النفط والغاز كمصدر رئيسي للعملة الأجنبية قبل الحرب. إلا أن النزاع المسلح منذ عام 2015 أدى إلى انهيار معظم القطاعات الإنتاجية، وتوقف الصادرات النفطية في فترات طويلة، وتراجع حاد في قيمة العملة الوطنية.

وفي ظل هذه الأوضاع المأساوية التي يمر بها الشعب اليمني، وحيث يركّز كثير من الفاعلين الدوليين على الحلول السياسية والعسكرية، فإن الحقيقة الأهم التي أثبتتها تجارب الدول الخارجة من النزاعات والصراعات الداخلية هي أن الاقتصاد هو الطريق الأقصر والأكثر استدامة لتحقيق السلام، وأن الاقتصاد هو قاطرة السياسة، وأن الصراع المستقبلي العالمي سيحكمه الاقتصاد.

وبالتالي عندما يفقد الناس مصادر دخلهم، ويتعذر عليهم توفير احتياجاتهم الأساسية، يصبحون أكثر عرضة للانخراط في العنف، أو الارتهان للغير، أو الاستقطاب للجماعات المسلحة. ففي اليمن، يعيش ملايين الشباب بلا وظائف ولا أمل اقتصادي، ما يجعلهم فريسة سهلة للتجنيد مقابل المال. لذلك فإن خلق فرص عمل، وتحريك عجلة التنمية والإنتاج، يقطع الطريق على اقتصاد الحرب وعلى المستفيدين من الحرب، ويُضعف دوافع استمرار الصراع. وهذا يعني أن السلام لا يقوم فقط على وقف إطلاق النار، بل على استعادة ثقة الناس بالدولة والمؤسسات.

عندما يرى المواطن أن الدولة قادرة على دفع الرواتب، وتوفير الكهرباء والمياه، ودعم الاقتصاد والتجارة، وتوفير الأمن والأمان، فإن شعوره بالانتماء والاستقرار يزداد. الاقتصاد القوي يعني دولة قادرة على توفير متطلبات العيش، والدولة القادرة هي أساس أي سلام دائم. حينها تبدأ الاستثمارات المحلية والخارجية في الدخول إلى اليمن، سواء في الموانئ أو الطاقة أو الزراعة أو الاتصالات، وبالتالي تنشأ مصالح اقتصادية مشتركة بين مختلف الأطراف. هذه المصالح تجعل العودة إلى الحرب مكلفة، لأن الجميع سيخسر. وهكذا يتحول الاقتصاد إلى شبكة أمان تحمي السلام.

اليمن بلد يتمتع بروح ريادة عالية، خاصة في التجارة والصناعات الصغيرة. دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتسهيل التمويل، وتسهيل أو تبسيط الإجراءات، يمكن أن يخلق آلاف الوظائف خلال فترة قصيرة. وراء كل مشروع ناجح أسرة مستقرة، وكل أسرة مستقرة هي لبنة في بناء السلام.

أما أن يظل البلد يعتمد على المساعدات فهي أكبر مشكلة ولن تحل أزمة، فالمساعدات الإنسانية ضرورية. لكنها إذا لم تُربط ببرامج إنتاجية (كالزراعة، والصيد، والحرف، والتعدين، والطاقة الشمسية، و.....إلخ.) فإنها تخلق اعتمادًا دائمًا بدلًا من الاكتفاء الذاتي.

الاقتصاد المنتج يحوّل الإنسان من متلقٍ للمساعدة إلى صانع لحياته، وهذا يعزز الكرامة والاستقرار الاجتماعي. وبالتالي فإن اليمن لا يحتاج فقط إلى اتفاق سياسي، بل إلى مشروع اقتصادي وطني يعيد تشغيل المصانع، ويُنعش الموانئ، ويحيي الزراعة، ويفتح أبواب العمل أمام الشباب. عندما يجد المواطن اليمني وظيفة أو عملًا حتى ولو كان بسيطًا، ولكنه قادر على توفير ولو جزء بسيط من مقومات الحياة بدل البندقية، ودخلًا ثابتًا بدل الإعانة، وأملًا بدل اليأس، يصبح السلام خيارًا طبيعيًا لا مفروضًا. لذلك، فإن الاستثمار في الاقتصاد هو في جوهره استثمار في السلام.

• حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

السلام المجتمعي في اليمن: رؤية للتعايش ونبذ الكراهية.

د. الزهراء العريقي، المحررة المسؤولة

يعيش اليمن اليوم مخاضاً عسيراً يضع نسيجه الاجتماعي في مواجهة تحديات غير مسبوقة، مما يجعل من توطين المصالحة والعدالة الانتقالية ضرورة حتمية لإرساء دعائم السلام المجتمعي. إن بناء السلام لا يمكن أن يقتصر على الاتفاقات السياسية الفوقية، إنما يجب أن ينبع من "القاعدة إلى القمة" عبر استحضار البنية الاجتماعية والقوانين العرفية اليمنية التي أثبتت فاعليتها في حل كثير من النزاعات المحلية في غياب الدولة. إن دمج هذه الأعراف، بعد مواءمتها مع مبادئ حقوق الإنسان، يساهم في جبر ضرر الضحايا وإعادة الثقة بين المكونات القبلية والاجتماعية، مما يؤسس لعدالة "هجينة" تضمن عدم تكرار الانتهاكات وتفتح آفاقاً حقيقية لقبول الآخر.

بهذا السياق تمثل العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية حجر الزاوية في أي خارطة طريق تهدف إلى تحقيق السلام المجتمعي والتعايش في اليمن؛ إذ لا يمكن بناء سلام مستدام دون معالجة إرث الصراعات وإنصاف الضحايا. وقد لعبت هذه الأعراف أدواراً حاسمة خلال سنوات الحرب في قضايا معقدة مثل فتح الطرقات، وإبرام صفقات تبادل الأسرى، والتهدئة المجتمعية، مما يبرهن على أنها شريك فاعل في إنفاذ العدالة.

ولتحقيق تعايش حقيقي ونبذ الكراهية، تبرز الحاجة إلى تطوير "عدالة هجينة"، بما يضمن عدم تكرار الانتهاكات ويحمي الفئات المهمشة. إن خارطة الطريق في هذا المسار تتطلب صياغة ميثاق شرف عرفي موحد يرتكز على قيم الإنصاف والاعتراف بالآخر، وتوثيق جلسات الصلح ضمن سجل وطني يسهل العودة إليه، وهو ما سيساهم في امتصاص التوترات وإعادة بناء الثقة المفقودة بين المكونات الاجتماعية. من خلال توطين آليات المصالحة واستلهام تجارب دولية ناجحة، يمكن تحويل العرف اليمني من أداة محلية بسيطة إلى دعامة وطنية صلبة تؤسس لثقافة قبول الاختلاف وتجرم خطاب الانتقام، ممهدةً الطريق نحو مستقبل يمن مستقر وآمن لجميع أبنائه.

أما عن التعليم فهو الأداة الأكثر حيوية في تحصين الهوية الوطنية اليمنية، كونه الرابط الروحي الذي يجمع الأفراد تحت راية الانتماء والولاء للوطن بعيداً عن الانقسامات الدينية أو المناطقية. إن بناء هوية وطنية قوية تستند إلى قيم المواطنة الحقيقية يتطلب مناهج تعليمية تتجاوز الانتماءات الضيقة، وتعمل كركيزة لنقل القيم الوطنية وتعميقها في عقول الأجيال القادمة، مما يحفز الطلاب على جعل الهوية الوطنية جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم الشخصي.

ومع ذلك، يواجه هذا المسار تحديات جسيمة تهدد النسيج المجتمعي؛ حيث أن كثير من المناهج التعليمية اليمنية التي لم يتم تحديثها من مطلع الألفينات تحمل بين طياتها سياسات تعليمية عقائدية ممنهجة تهدف إلى الكراهية والتطرف ونبذ الوطنية في أغلب الأحيان وربط الإنسان بالدين بدلاً من الأرض. مضافاً إلى هذا فهناك الكثير من الأطفال خارج نظام التعليم، مما يهدد بنشوء "جيل بلا هوية" لا يدرك تاريخه الحضاري المشترك، مما يجعل من عملية تحديث المناهج ضرورة قصوى لغرس قيم الحرية، العدالة، المساواة، والتسامح، مع التركيز على اللغة العربية كوعاء ثقافي يجمع اليمنيين. لنبذ الكراهية، وبناء وعي جمعي يحترم التنوع ويؤسس لثقافة التعايش، من خلال تحويل المدارس إلى منصات لتعزيز التلاحم الاجتماعي بدلاً من الأدلجة، يمكن لليمن أن يستعيد هويته اليمنية الجامعة ويحصن أجياله ضد خطابات التطرف والكراهية.

كما يرتكز تحقيق السلام المجتمعي المستدام ونبذ الكراهية في اليمن على الاعتراف بالدور المحوري للمرأة والشباب كصناع حقيقيين للتغيير من القاعدة إلى القمة؛ فالسلام الحقيقي يتجذر في الممارسات اليومية "الخفية" التي تضطلع بها النساء في فض النزاعات الأسرية والمجتمعية، وتوسيع نطاق التماسك الاجتماعي داخل الأحياء والمساجد والمدارس

ومع ذلك، تواجه هذه الجهود النسوية تحديات جسيمة، حيث يُحصر دور المرأة غالباً في "الحياة الخاصة"، وتتعرض الناشطات للوصم الاجتماعي وحملات التشهير، فضلاً عن القيود المفروضة على حركتهن وتنقلهن بناءً على تفسيرات دينيه متطرفة. إن خارطة طريق السلام تتطلب الانتقال من تهميش المرأة إلى تمكينها في المنصات العامة والسياسية، مع ضرورة استخدام خطاب معتدل يواجه الآراء المتزمتة التي تُعيق مشاركتها الفاعلة في حماية الفضاء المدني. وبالرغم من افتقار النساء والشباب للتمويل والوضع المؤسسي الرسمي، إلا أن مبادراتهم أثبتت فاعلية فائقة في حل نزاعات محلية معقدة. إن تمكين الشباب اليمني، الذي يمثل الشريحة الأكبر من السكان، يتطلب تأسيس مبادرات توعوية تربط مفاهيم العدالة الانتقالية بالقيم القبلية النبيلة، وإشراكهم الفعلي في مجالس الصلح والتحكيم لضمان تجديد الخطاب العرفي بما يتماشى مع روح حقوق الإنسان. من خلال تحويل هؤلاء الفاعلين المحليين من "مستفيدين" إلى "ملاك لعملية السلام"، يمكن لليمن أن يقطع الطريق أمام خطابات الكراهية والتطرف، ويؤسس لبيئة تعايش وطنية تضمن الملكية المشتركة والاستدامة لكل اتفاقيات السلام القادمة.

كيف تعلمنا الحكايات اليمنية القديمة أن نختلف دون أن نُفني بعضنا؟

صابر الجرادي

لم تكن الحكايات تُروى اعتباطًا

تساءلت عن سر خلود بعض الحكايات في ذاكرتنا، في حين اندثرت أخرى، ولماذا كانت أمهاتنا وجداتنا يكررن حكايات بعينها، بإصرار يكاد يبدو مقصودًا، وكأنهن كن يعرفن ما نحتاجه لاحقًا، لا ما يسلينا في تلك اللحظة.

تأسيسًا على تأمل هذه الأسئلة التي سكنتني، أدركت أنه كان في الاختيار دقة خفية، وفي التكرار قصد، وفي اختلاف الحكاية من منطقة إلى أخرى معنى أعمق من مجرد اختلاف البيئة. ومع أنني تجاهلت الكتابة عنها طويلًا، ظنًا مني أنها مجرد هوامش للطفولة، أعادني واقعنا الصدامي اليوم إليها بقوة، وكأن الزمن يطالبنا بإعادة الإصغاء لتلك البذور التي زرعتها الجدات فينا؛ بذور فهم العيش بسلام ومحبة.

ومن هنا، وجدتُ أن السلام في تلك المجالس البسيطة كان يُمارَس سرديًا، وليس مجرد شعار أخلاقي جاف.

كانت الحكاية وسيلة لتأجيل الغضب، وتخفيف حدة الصدام، وفتح مساحات للتأمل قبل إطلاق الأحكام، وكثيرًا ما كانت نهاية الحكاية مفتوحة بما يكفي ليبقى الجميع داخل دائرة الحياة، متسائلين لا متصارعين.

وبالنظر في جذور الحكايات اليمنية قديمًا، يتسع هذا الفهم عند تأمل الفوارق السردية بين المناطق اليمنية؛ فالاختلاف بين حكاية الجبل والساحل يعكس بصمة البيئة على الوعي الجمعي.

ومن خلال مراجعة كتب محلية ككتاب "حكايات من التراث الشعبي في سقطرى" الذي جمعها قائمون على مشروع حماية التراث السقطري، وكتاب "من الحكايات والقصص الشعبية في بلاد يافع" للكلدي، و"الحكايات الشعبية" لحسن شهاب، وجدتُ الحكايات تمنح نموذجًا للتصالح مع الغريب وإدارة الخوف عبر الفهم والتحايل الذكي، بمعنى أن حكايات المرتفعات تُعلي من شأن الحكمة والمبادرة لإنهاء النزاع، بينما تجعل تهامة من "الحيلة" وسيلة نبيلة لتفكيك المظالم وحماية الحياة دون أن تفتح بابًا للثأر.

وكل هذا التنوع في المسارات السردية يُفضي إلى ممارسة السلام كفعل حي؛ فالطفل الذي يسمع الحكاية لا يُقال له: تسامح. بل يرى كيف انتهى الخلاف، وكيف خفّ التوتر، وكيف بقي الجميع أحياء داخل القصة. لأن المعنى يتسلل إلى ذاته بهدوء، ويستقر دون أن يُعلن عن نفسه.

تساءلت لاحقًا: لماذا لم تمجّد الحكايات القديمة الإبادة؟

لماذا لم تكن النهاية الحاسمة هي الخيار المفضل؟

الجواب، كما بدا لي، ليس أخلاقيًا بقدر ما هو وجودي. الإبادة تعني الصمت، تعني نهاية الحكاية، والمجتمعات التي عاشت على السرد والحكي كانت تعرف أن الصمت أخطر من الخطأ. وهذا ما جعلها تفضل حلولًا ناقصة، تسويات مؤلمة أحيانًا، وعفوًا غير مثالي، لكنها حلول تسمح للحياة أن تستمر.

ويترتب على هذا النمط من الحكي ترسيخ منطق التعايش كعملية يومية هشة تحتاج صبرًا طويلًا. فعندما تسمع القصة، تحتاج أن تنصت لصراعها وتمتص بهدوء مهارات الانتظار والتراجع الحكيم، وتختبر قيمة العفو التي تسمح للحياة بالمضي قدمًا. إنها حلول واقعية، تفضل التسويات الممكنة على الصمت الذي تفرضه النهايات الحاسمة، لأن المجتمع القائم على الحكي يقدس صوت الحياة فوق كل اعتبار. حين تراجع السرد، تقدم الخطاب.

وعند مقارنة هذا الإرث بواقعنا الراهن، يظهر أن تراجع السرد أمام سيطرة الخطاب أدى إلى ضيق الخيال واتساع رقعة المواجهة. فالخطاب دائمًا يميل إلى التصنيف وبناء المتاريس، بينما توفر الحكاية أرضًا مشاعًا يتشارك الجميع في صياغتها. ونحن اليوم في (أوام) نستلهم من هذا المنطق الثقافي وسائل أقل تدميرًا لإدارة تبايناتنا، ونبحث في ثنايا الموروث عن ذاكرة قادرة على العمل في العمق المعاصر.

ربما لا تعود الحكاية كما كانت. وأن الحكاية القديمة لن تعود كما كانت في السابق، حين تجتمع العائلة حول فانوس أو في غرفة النوم بالطريقة نفسها، أو تُروى القصص بالصوت ذاته. لكن يمكن للسرد أن يستعيد وظيفته، لا شكله. في الأدب، في المسرح، في السينما، وحتى في السرد الرقمي، حيث يمكن للحكاية أن تعلّمنا مجددًا كيف نختلف دون أن نُفني بعضنا.

أفكر اليوم في تلك الحكايات لا بوصفها ماضيًا جميلًا، بل بوصفها ذاكرة تعمل في العمق.

ثمار ما حكته الجدات، وما كانت أمي تعيده دون شرح، تظهر الآن، في طريقة فهمي للخلاف، وفي رغبتي في تأجيل العنف، وفي إيماني بأن التعايش مع الآخرين ليس شعارًا، بل ممارسة يومية تحتاج صبرًا وحكمة.

ربما لهذا قرّرت أن أنذر جزءًا من نصيبي من هذا الزمن للحديث عنها. ليس لأن الحكايات تملك الإجابات، بل لأنها ما زالت تملك القدرة على إبقائنا داخل الحكاية نفسها، حتى ونحن نختلف.

في إحدى الحكايات الشعبية المتداولة في بعض مناطق اليمن، يُروى أن رجلين تنازعا على قطعة أرض تفصل بين قريتين. احتدّ الخلاف، وتعاقبت المواجهات الكلامية، وكاد الأمر ينتهي بالعنف، لولا تدخل امرأة عجوز اقترحت حلًا بدا، للوهلة الأولى، غير عادل للطرفين.

قُسمت الأرض بطريقة جعلت كلًّا منهما يشعر بالخسارة، لكنها في المقابل أبقت القريتين قائمتين، وأوقفت سلسلة من الثأر كان يمكن أن تمتد لسنوات.

لا تنتهي الحكاية بانتصار أحد، ولا تُقدّم بطلًا تقليديًا، بل تترك السامع أمام حقيقة بسيطة: الخسارة المشتركة، أحيانًا، أقل كلفة من انتصار يُبنى على الإقصاء.

تبدو هذه الحكاية، وغيرها الكثير، نموذجًا مصغرًا للمنطق الذي اشتغلت عليه الحكايات اليمنية قديمًا؛ منطق لا يسعى إلى الحلول الكاملة، بل إلى الحلول الممكنة، ولا يقدس النهايات الحاسمة بقدر ما يقدس استمرار الحياة.

في هذا السياق، لا تعمل الحكاية بوصفها وعاءً أخلاقيًا، بل كمساحة تدريب مبكر على إدارة الخلاف، وتأجيل العنف، وقبول التعايش بوصفه عملية يومية هشة تحتاج صبرًا طويلًا.

من هنا، يمكن النظر إلى الحكاية الشعبية اليمنية كأرشيف شفهي للسلام الاجتماعي، وكمصدر معرفي لا يزال قادرًا على إغناء دراسات السرد، والأنثروبولوجيا الثقافية، وبحوث إدارة النزاعات. فهي لا تقدم حلولًا جاهزة، لكنها تمنحنا أدوات للفهم، وتُبقي الخلاف داخل الحكاية، لا خارجها.

• حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

التناقض كبُعد أساسي.

خالد اليماني

كل مفكّر وفيلسوف على مرّ التاريخ، خصوصاً أكثرهم تأثيراً على الثقافة العامة من جهة، وعلى تطور الفكر والعلم من الجهة الأخرى، كانوا جميعاً يحملون الكثير من التناقضات في فلسفاتهم، ويبدو للقارئ للوهلة الأولى، وكأن على الإنسان أن لا يتناقض مع نفسه، وخاصةً إذا كان فيلسوفاً!

في هذه المقالة، نأمل أن نصل إلى شيءٍ من المنطق والمعقولية وراء تناقضات المفكرين والفلاسفة في كل العصور، ونسعى إلى تسليط الضوء على الأسباب التي تجعل الكثير من القراء يتسرعون في الحكم على ما يتعرضون له من طرح الفلاسفة، وكيف علينا أن نفتح المجال لتأويلات سياقية وأكثر موضوعية.

أولاً، يُلاحظ أن الإنسان يرى ما يركّز عليه، أي أننا إذا أردنا أن نبحث عن التناقضات، ليس فقط بين صفحات المفكرين، بل أيضاً في كل السرديات القديمة وأمهات الكتب، قد نجد الكثير من التناقضات، والأقوال التي تبدو ظاهريًا وكأنها تناقض العقل، ولكن مع التأمل الصافي، ودراسة السياق الذي بُعثت الفلسفة للحياة، يعي الإنسان الشروط الطبيعية التي من خلالها سُردت هذه الكتب بهذه الطريقة أو تلك، سواءً كنا نتفق معها أم لا نتفق.

• حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

ثانياً، أيّ كاتبٍ هو إنسانٌ في نهاية المطاف، ومن الطبيعي مع النضوج ومرور السنين والعقود، أن يتجاوز آراء قد تبنّاها في شبابه، ثم في آخر حياته يتوصّل إلى أنها كانت خاطئة، أو على الأقل لا تستريح نفسه لها كنتائج لتفسير ظاهرةٍ ما. وهذا لا يعني أن الحكم "الموضوعي" يقرّ بوجود تناقض، بل الأصح من حيث الفهم هو إدراك أن الإنسانية من حيث هي تعيش تراكمًا وتكاملًا معرفيًا؛ والفلاسفة من حيث هم يعرضون أعمالهم عبر كتب ومقالات، يكونون أكثر عرضةً للتناقض من غيرهم، أو لإعادة الكتابة حول بعض ما سبق أن طرحوه؛ وهنا قد يظهر بعض الخلاف، لا التناقض بالضرورة، بين ما توصّلوا إليه لاحقاً وما كتبوه في بداية مسيرتهم.

أيضاً، إضافةً على هذه النقطة، فإن كثيرًا مما يبدو تناقضًا، قد يكون توسعةً لما اختزله المفكر من قبل. على سبيل المثال، قد يكتب كاتبٌ كتابًا حول: أسباب سقوط الحضارة الرومانية، ويعرض فيه ثلاثة أسباب رئيسية. مع مرور الوقت، يُدرك الكاتب، أن كلامه كان صحيحاً جزئيًا فقط، أي أنه اختزل الحقيقة من حيث هي أوسع من هذه الثلاثة الأسباب التي لا تمثل تفسيراً متكاملاً لهذه القضية الكبرى. وقد يعتقد البعض أن الكتاب الآخر (إذا كُتب) يناقض الكتاب الأول، لكنه في الواقع يمثل تطورًا وتوسيعًا للبحث، وعبر هذا التوسيع قد يحصل التناقض بين فكرة قديمة وأخرى حديثة.

وهكذا نفهم أن الاستنتاج بوجود تناقض من عدمه، قد يكون صحيحاً، وغالباً لا يكون كذلك. فمهمة القارئ أن يتأكد من فهم النص أولاً، ثم يُصدر حكمًا موضوعيًا ثانياً. وهذا ليس بالأمر الصعب على من تعوّد على فنّ القراءة النقدية.

ثالثاً، كما ذكرنا آنفًا، فإن الإنسان من حيث هو كائنٌ متناقض، قد يتناقض مع نفسه في اليوم والليلة! وهذا يحصل كثيراً عندما نُركّز على تقلبات الأحداث والتجارب وعلى أثرها في تراكم معارفنا ومعتقداتنا ونظرتنا للأمور.

وهنا علينا أن ندرك أمراً مهماً يغفل عنه الكثير من القراء، وحتى الباحثين أحيانًا، وهو أن التناقض لا يعني أن يتناقض الكاتب مرة أو مرتين أو ثلاثًا في كتابٍ ما. فإذا كانت نسبة التناغم والانسجام في نسق تفكير الكاتب تصل إلى ٧٥٪ فما فوق، فلا يصح اعتباره كاتبًا متناقضًا، حتى وإن وُجدت بعض التناقضات في نفس الكتاب (إن افترضنا وجودها أصلًا).

أيضاً، من المهم أن نتذكّر أن التناقض يُقاس من خلال الأفكار الرئيسية التي تُمثل جوهر فلسفة الكاتب ونسقه الفكري، لا من خلال الأفكار الثانوية التي قد لا تكون ذات أهمية من حيث الدقة، أو التي لم يمنحها الكاتب ما يكفي من التأمل. فمثل هذا يُعدّ أقرب إلى التعجّل العلمي منه إلى التناقض الحقيقي.

تمامًا لما سلف، أعتقد أنه لا مناص من التناقض من حيث إن المعرفة تراكم وتقييم وحذف. ولا يمكن بأيّ شكلٍ من الأشكال أن نجد فيلسوفاً، أو مفكراً، أو عالماً، أو أديباً وشاعراً، لم يتناقض مع طرحه، ولو على مستوى بسيط.

وهذا لا يُعدّ عيبًا في الكاتب، بل على العكس، يدل ذلك على أنه كثير القراءة والتفكير، ولذلك تظهر عنده التناقضات. كما أن في ذلك إشارة على تقدّمه على المستوى المفاهيمي والفلسفي. وأنه لم يتوقف عند فهمه الأول للقضايا التي يعالجها.

ويمكننا القول إن من لا يتناقض مع نفسه أبداً، لم يُفكّر أبداً. والمعرفة في جوهرها، سلسلة لا تنتهي من التصحيح والتكامل؛ وهذا ما يجعل من البنيان المعرفي جسداً واحداً، أشبه بلوحة عريضة يمكن لكلٍّ منا أن يُساهم فيها أو يُعدّل عليها، بعلمٍ وموضوعية ومحبة!

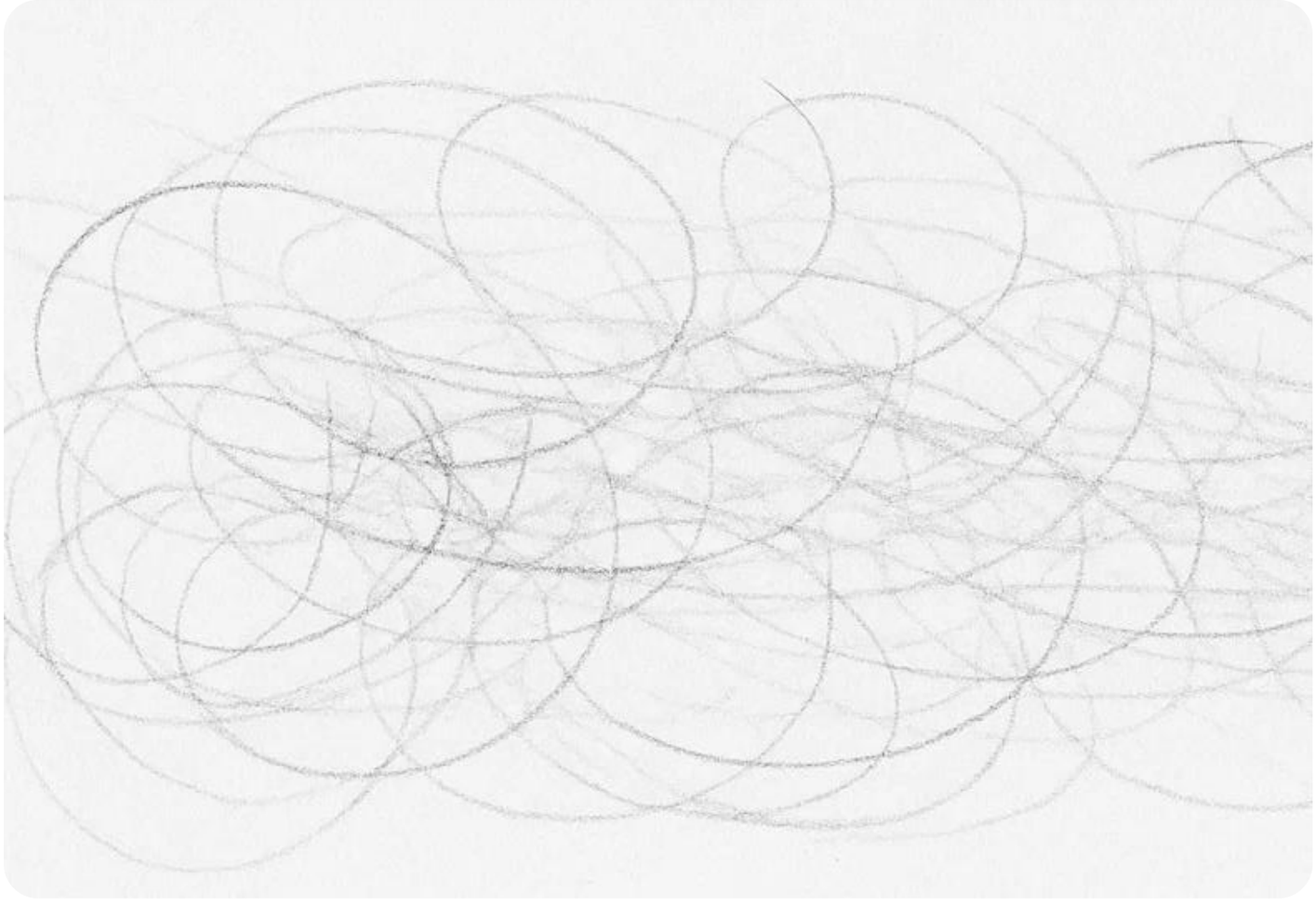

- حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

- حقوق الصورة محفوظة لمركز جدل للسلام.

حضرموت بين التاريخ والسياسة الراهنة: الانقسامات المجتمعية والتحولات الاستراتيجية في شرق اليمن.

تحليل مركز جدل للسلام للأوضاع الأخيرة في اليمن.

تمثّل محافظة حضرموت الشطر الشرقي للجمهورية اليمنية، وهي أكبر المحافظات. وتشتهر حضرموت بثرواتها النفطية والغازية، إذ شكّلت حقولها الكبرى (مثل حقل المسيلة) المصدر الرئيس لاستخراج النفط اليمني قبل الحرب (كان إنتاجها سابقاً يبلغ نحو 100 ألف برميل يومياً نحو 60% من الإنتاج الوطني).

تاريخياً حكمت المنطقة حكومات محلية مستقلة تحت الاستعمار البريطاني ثم جمهورية اليمن الديمقراطية، ثم اندمجت عام 1990 مع الجمهورية العربية اليمنية لتشكيل الجمهورية اليمنية.

في السنوات الأخيرة برز التوتر في الجنوب بوجه عام؛ إذ تأسس عام 2017 المجلس الانتقالي الجنوبي، الممسك بمطالب انفصالية، بدعم إماراتي. وقد انضمّ ممثلو المجلس إلى حكومة الوحدة المنبثقة عن اتفاق الرياض 2019 بوساطة سعودية، لكن الخلافات بقيت قائمة. قبل أسابيع، أعلن الانتقالي سيطرته على حضرموت والمهرة بالكامل، ودعا فعلياً إلى دولة جنوبية.

وقد أثار هذا الأمر قلق الحكومة اليمنية المعترف بها دولياً، والسعودية التي تعتمد على ثبات شرقي اليمن لحماية حدودها الجنوبية وممرات الملاحة الرئيسة.

ولنستهل الحديث بحضرموت قبل جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، تُظهر القراءة الأكاديمية المتأنية لتكوين كيان «اتحاد الجنوب العربي» (1959–1967) أن حضرموت، رغم إدراجها أحيانًا في الخطاب السياسي البريطاني المتأخر ضمن الجنوب العربي، لم تكن جزءًا بنيويًا أو اتحاديًا من هذا الكيان، إنما ظلّت حتى نهاية الوجود البريطاني تُدار بوصفها إقليمًا مستقلًا ضمن ما عُرف رسميًا بـ«محمية عدن الشرقية»، وهو تمييز إداري وسياسي واضح في الوثائق البريطانية، إذ يبيّن المؤرخ بول دريش في كتابه المرجعي A History of Modern Yemen أن الاتحاد اقتصر فعليًا على مستعمرة عدن ومحميات عدن الغربية، بينما بقيت حضرموت خارج مؤسساته الدستورية والتنفيذية ولم تشارك في برلمانه أو حكومته الاتحادية، وهو ما ينقض فكرة الاندماج السياسي الحقيقي. ويؤكد هذا الاتجاه ما ورد في مدخل Federation of South Arabia في موسوعة بريتانيكا، حيث يجري التمييز صراحة بين أراضي الاتحاد وبين الأقاليم المحمية التي ظلت خارجه حتى 1967. كما تدعم سجلات وزارة المستعمرات البريطانية هذا الفصل القانوني،

إذ تصنف حضرموت ضمن Eastern Aden Protectorate لا ضمن Federation Territories، وهو ما يظهر بوضوح في ملفات Colonial Office Records (CO 1015, CO 1055) المحفوظة في الأرشيف الوطني البريطاني. ويذهب غافن هامبلي في The Cambridge History of the Arab World إلى أن حضرموت لم تدخل التجربة الاتحادية أصلًا وبقيت كيانًا سلطانيًا محميًا إلى أن أُسقطت السلطنتان القعيطية والكثيرية بالقوة الثورية بعد الانسحاب البريطاني، لا عبر تفكك الاتحاد ذاته. كما تشير دراسات أنثروبولوجية وسياسية عن حضرموت، منها أعمال آر. بي. سيرجنت، إلى أن البنية الاجتماعية والسياسية الحضرمية تطورت بمعزل عن عدن والاتحاد، ما يفسر ضعف الاندماج التاريخي واستمرار الشعور بالخصوصية الإقليمية. وبناءً على ذلك يمكن القول، وفق هذا التيار الأكاديمي، إن حضرموت كانت محمية شرقية أُلحقت اسميًا بالترتيبات الاستعمارية الأخيرة دون أن تكون جزءًا اتحاديًا فعليًا من الجنوب العربي، وهو تمييز تاريخي دقيق يُستحضر اليوم في النقاشات السياسية المعاصرة حول هوية حضرموت وموقعها من مشروع الدولة الجنوبية.

أعلن محافظ حضرموت سالم الخنبشي فجر الجمعة (2 يناير 2026) إطلاق عمليّة عسكرية سُمّيت "استلام المعسكرات"، هدفها إعادة تسلّم المواقع العسكرية والأمنية من قوات الانتقالي سلمياً وبشكل منظم. مع بدء العمليّة وقعت اشتباكات عنيفة في معسكر اللواء 37 في الخشعة (وادي حضرموت)، أكبر قاعدة عسكرية بالمحافظة. بعد ساعات من القتال، أعلن الخنبشي سيطرة قوات درع الوطن (معزّزة بحلف قبائل حضرموت بقيادة عمرو بن حبريش) على المعسكر. دعمت مقاتلات التحالف العربي بقيادة السعودية تقدم الحكومة، حيث قصفت مواقع الانتقالي في وادي حضرموت. وأفاد وزير الإعلام أن الغارات استهدفت «كمائن» للانتقالي نصبت على طريق قوات درع الوطن.

حلول السبت (3 يناير)، أعلنت الحكومة انتهاء عمليّة تأمين المعسكرات بنجاح. ونقل التلفزيون الرسمي تصريحات الخنبشي الذي أكد أنه رصد خروج مجاميع من قوات الانتقالي من المكلا متجهةً نحو عدن، وعرض «حق الخروج الآمن» لمن يرغب بالانسحاب من حضرموت والمهرة عبر أراضي المحافظة جنوباً.

وردًّا على العمليات العسكرية، أعلن رئيس المجلس الإنتقالي عيدروس الزبيدي إطلاق مرحلة انتقالية مدتها عامان تمهّد لاستفتاء حول استقلال الجنوب. كما دعا نائب رئيس المجلس أحمد سعيد بن بريك إلى تعبئة شعبية في حضرموت لمواجهة «الغزو القادم» من القوات الشمالية كما أسماها،

في المقابل، ظلت الاتصالات السياسية مستمرة: فقد دعا رئيس المجلس الرئاسي رشاد العليمي السعودية لاستضافة مؤتمر شامل حول القضية الجنوبية بحضور كافة المكوّنات، بما فيها المجلس الانتقالي.

ومما سبق يُعدّ تقييم التحولات الميدانية في شرق اليمن، ولا سيما في حضرموت، مدخلًا أساسيًا لفهم إعادة تشكّل موازين القوى داخل المشهد اليمني الأوسع، إذ لا تقتصر أهمية هذه التحولات على بعدها العسكري المباشر، بل تمتد إلى تداعياتها السياسية والأمنية والاستراتيجية، سواء على مستوى العلاقة بين الفاعلين المحليين، أو في إطار الصراع الأشمل مع جماعة الحوثي، فضلًا عن تأثيرها على حسابات الأطراف الإقليمية الداعمة لكل طرف. أظهرت التطورات الأخيرة في حضرموت قدرة الحكومة اليمنية، بدعم مباشر من المملكة العربية السعودية، على استعادة زمام المبادرة الميدانية في المحافظة، حيث نجحت القوات الحكومية، مدعومة بالقبائل المحلية، في إعادة بسط سيطرتها على كل المواقع العسكرية، ما أسفر عن تراجع نفوذ المجلس الانتقالي الجنوبي داخل المحافظة، مع الإبقاء على هياكل السلطة المحلية في صورتها السابقة لما قبل ديسمبر 2025. ويعكس هذا التحول إعادة جزئية للتوازن العسكري والسياسي لصالح الحكومة في شرق اليمن. غير أن هذا التقدم، قد يفرض كلفة استراتيجية مؤقتة على الحكومة،

بما يفتح المجال أمام الحوثيين لاستغلال هذا الانشغال لإعادة ترتيب مواقعها أو تحقيق مكاسب ميدانية لاحقة.

ولا يمكن قراءة هذه التحولات في ميزان القوى شرق اليمن بمعزل عن انعكاساتها الأوسع على البنية السياسية للصراع اليمني ككل، إذ إن ما جرى يكشف عن اختلالات في تركيبة التحالفات الداخلية، وطبيعة العلاقة بين مكوّنات «الشرعية» اليمنية، ومسارات إدارة الخلافات بين المشاريع المتنافسة على شكل الدولة ومستقبلها، وهو ما يفرض الانتقال إلى قراءة المشهد اليمني العام بوصفه الإطار الأوسع الذي تتقاطع فيه هذه التطورات وتتشكل ضمنه تداعياتها السياسية والاستراتيجية.

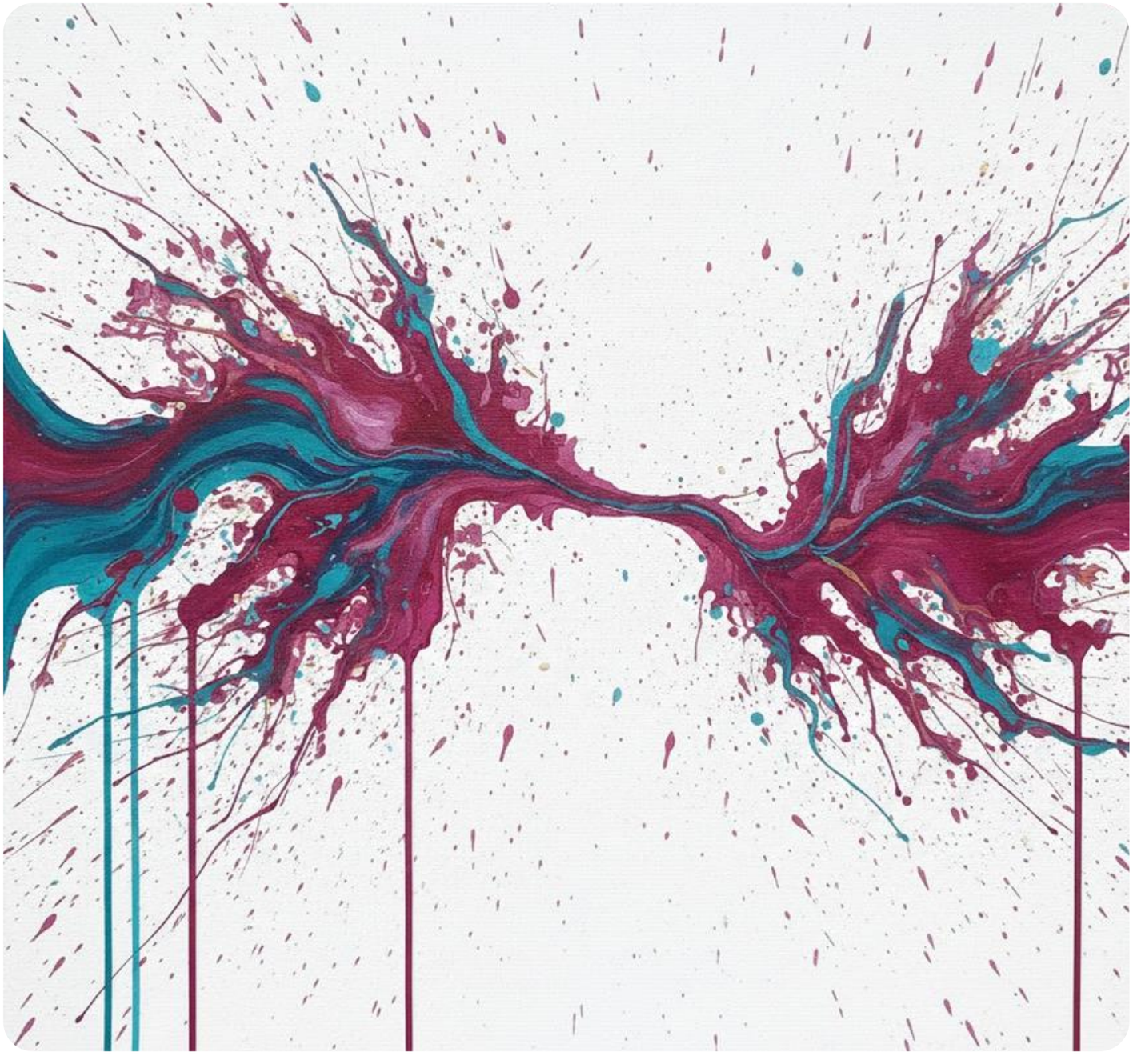

• حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

في هذا السياق الأوسع، عكست التطورات الأخيرة عمق الانقسام البنيوي داخل معسكر «الشرعية» اليمنية، حيث برز تباين واضح بين مكوّنات شمالية وقوى منضوية ضمن المجلس الرئاسي من جهة، وبين فاعل جنوبي يتبنى مشروعًا انفصاليًا تمثله القوات التابعة للمجلس الانتقالي الجنوبي من جهة أخرى. وقد أسهم رفع المجلس الانتقالي لسقف مطالبه باتجاه الاستقلال في إعادة القضية الجنوبية إلى صدارة الأجندة السياسية، في مقابل إصرار الحكومة اليمنية على مقاربة هذه القضية عبر المسارات السياسية والمؤسسية، لا من خلال فرض وقائع ميدانية جديدة. وأدى هذا التباين في الرؤى إلى تعقيد فرص التوصل إلى تسوية سياسية شاملة، بالنظر إلى التعارض الجوهري بين مشروع الدولة الموحدة الذي تتمسك به الحكومة، والطموحات الانفصالية التي يطرحها المجلس الانتقالي. وفي المقابل، مكّنت إعادة بسط الحكومة سيطرتها على حضرموت من إحباط محاولة عملية لإعادة تشكيل الخريطة السياسية بالقوة، وهو ما عزّز مؤقتًا موقع الدولة وحدّ من زخم المشاريع التفكيكية. غير أن اتساع دائرة الخلاف داخل التحالف العربي، ولا سيما بين السعودية والإمارات، يظل عاملًا مُقيدًا لأي تقدم استراتيجي مستدام، إذ قد يؤدي إلى إضعاف الجهد المشترك في مواجهة جماعة الحوثي، وتشتيت الأولويات عن الهدف الاستراتيجي الأوسع المتمثل في إنهاء الحرب واستعادة الاستقرار في اليمن.

تكتسب المنطقة الشرقية من اليمن أهمية استراتيجية مضاعفة بحكم موقعها الجغرافي المشرف على بحر العرب، بوصفه امتدادًا حيويًا للمحيط الهندي ونقطة وصل غير مباشرة بين الخليج العربي وشرق البحر الأحمر، وهو ما يجعلها جزءًا من منظومة الممرات البحرية ذات الحساسية العالية للتجارة الدولية وأمن الطاقة. ويعني أي توتر طويل الأمد في هذه المنطقة تقلل قدرة الحكومة على فرض الرقابة الفاعلة على هذه الممرات، بما يفتح المجال أمام فواعل غير دولية للتأثير في أمن الملاحة. وإلى جانب البعد البحري، تمثل حقول حضرموت النفطية والغازية ركيزة أساسية في منظومة الطاقة اليمنية، وترتبط بها بنية تصدير بحرية تجعل من استقرار المحافظة عاملًا حاسمًا في حماية المنشآت وخطوط الإمداد. وفي هذا السياق، يسهم ترسيخ السيطرة الحكومية في الحد من مخاطر الاستهداف أو التخريب، في حين أن تصاعد نفوذ التشكيلات المسلحة غير النظامية قد يعرّض هذه البنية الحيوية لمخاطر النهب أو التعطيل المتعمد.

فعلى المدى القريب، تبدو احتمالات التهدئة المشروطة مرتفعة عقب بسط الحكومة سيطرتها الميدانية، ولا سيما في ظل مساعٍ خليجية للوساطة يُرجّح أن تتجسد عبر مؤتمر الرياض المرتقب للمكونات الجنوبية. ففي هذا الإطار، قد تنجح الحكومة في تثبيت حضورها الأمني والإداري في حضرموت والمهرة،

بينما قد تميل بعض القيادات الجنوبية إلى تبني مقاربة براغماتية تقوم على المناورة السياسية، شريطة الحصول على ضمانات تتعلق بتطوير صيغ الحكم اللامركزي أو فتح ملفات الحقوق السياسية والاقتصادية للجنوب والشرق اليمني ضمن مسار تفاوضي منظم. غير أن هذا المسار يظل مهددًا بمواقف التيار المتشدد داخل المجلس الانتقالي الجنوبي، الذي قد يتمسك بخيار الاستقلال الكامل، بما ينذر بإمكانية تجدد التوتر عبر احتجاجات شعبية أو تحركات مسلحة محدودة تُبقي حالة عدم الاستقرار قائمة.

وعلى المدى المتوسط، قد تفضي الأزمة الراهنة إلى تحولات ملموسة في بنية السلطة اليمنية، خصوصًا إذا أسفرت مفاوضات الرياض عن تسوية جزئية، كتعزيز صلاحيات السلطات المحلية في المحافظات الجنوبية أو إعادة طرح صيغة إقليم جنوبي ضمن ترتيبات تقاسم سلطة أكثر توازنًا. وفي حال تحقق مثل هذا التوافق، قد تنحسر ذروة الخلاف مؤقتًا، إلا أن هشاشة العقد الوطني ستظل قائمة، مع بقاء احتمالات التفكك البنيوي للدولة اليمنية. وفي سيناريو استمرار الانقسام، قد يُعاد طرح خيار الدولة الجنوبية المستقلة على مستوى بعض الفاعلين المحليين، رغم ما يواجهه من رفض إقليمي ودولي. بالمقابل، ستسعى الحكومة المعترف بها دوليًا إلى ترسيخ سيادة الدولة بالقوة الصلبة، عبر إعادة انتشار قوات درع، وهو ما قد يؤدي إلى إعادة ترسيم مناطق النفوذ الداخلية وإنتاج توازنات جديدة بالقوة.

أما على المستوى الإقليمي، قد يدفع تعمق التصدعات الداخلية إلى إعادة ترتيب التحالفات، حيث يُتوقع أن تعزز السعودية دعمها للحكومة وحلفائها السياسيين، لأن أي تراجع في حدة الانقسامات اليمنية الداخلية، ينعكس على أمن الممرات البحرية الاستراتيجية في البحر الأحمر وخليج عدن، وعلى استقرار خطوط إمداد الطاقة الخليجية، وهو ما يتقاطع مع مصالح القوى الإقليمية والدولية الكبرى.

في المحصلة، ستظل اليمن رهينة تشابكاتها الداخلية المعقدة، وسيبقى استقرارها مرهونًا بقدرة الفاعلين المحليين على إنتاج تسوية سياسية قائمة على الحوار والتوافق، لا على فرض الوقائع بالقوة. ويُرجّح أن يشكل العامان المقبلان مفترقًا حاسمًا، تتراوح مآلاته بين فتح مسار مصالحة تدريجية بين الأطراف، ربما برعاية إقليمية مباشرة، وبين تعميق التشرذم إلى حد بروز كيانات متنافسة على الخريطة اليمنية. وفي كلتا الحالتين، ستتجاوز تداعيات هذا المسار الحدود اليمنية، لتطال أمن دول الجوار، ولا سيما في ما يتعلق بحماية الحدود والممرات المائية الحيوية.

ما يهمنا كثيراً هو الانقسامات المكونية والاصطفافات المحلية، فقد بدت المواقف من الصراع منقسمة إلى فئتين رئيسيتين: الأولوية كانت لتحالف القبائل المؤيدة للحكومة، حيث أعلن هذا التحالف دعمه الكامل لقرارات مجلس القيادة الرئاسي والحكومة المركزية،

وحمّل المجلس الانتقالي ومن يدعمه مسؤولية التصعيد العسكري. وظهرت مقاطع (من مصادر الحكومة) تظهر "قوات حماية حضرموت" القبلية وهي تستعيد مواقع عسكرية للمجلس الانتقالي في المكلا. مما يعني أن كثيراً من القبائل الفاعلة انضمت عمليًا إلى جهود حفظ السلطة المحلية. المجموعة الثانية تمثلت في المجلس الانتقالي وقواته في حضرموت. فقد أخضع الانتقالي الساحل والوادي الجنوبي لأرادته مؤخرًا، لكن قبلياً وإقليمياً بدت أن ولاءات منتميه من حضرموت ضعيفة أو محدودة.

وقد عكست ردود الفعل المحلية حجم القلق من انزلاق حضرموت نحو شرخ اجتماعي، إذ حذّر مراقبون من أن الصراع الأخير قد يقوّض حالة التماسك المجتمعي النادرة التي تميّزت بها المحافظة، ولا سيما أن الغالبية الساحقة من المجتمع الحضرمي ظلّت، طوال سنوات الحرب، منخرطة في العمل السياسي والاجتماعي بوسائل سلمية بعيدًا عن العنف. وقد تعززت هذه المخاوف مع تحذيرات صدرت عن قيادات محلية بارزة من أن حضرموت تمرّ بإحدى أخطر مراحلها منذ عقود في ظل استمرار التصعيد، والتنبيه إلى مخاطر الانزلاق نحو صراع داخلي مفتوح بلا منتصر.

وتجسدت هذه الهواجس عمليًا في تصاعد خطاب التحريض والعنف، حيث عبّر بعض المسؤولين عن أسفهم لتحوّل الشعارات من منطق الصراع الوطني الجامع إلى شعارات إقصائية تُفضي عمليًا إلى اقتتال داخلي بين أبناء المنطقة الواحدة، في وقتٍ صدرت فيه تهديدات صريحة من زعامات قبلية باستخدام القوة لطرد خصومها من الأراضي الحضرمية. ويشير هذا المسار المتوازي من التحشيد الخطابي والميداني إلى تصدع واضح في النسيج الاجتماعي، تفاقمه حوادث القتل المتبادل واتساع رقعة الاشتباكات بين الوادي والساحل. ومع إدراك مختلف الأطراف لمخاطر هذا الانزلاق، فإن استمرار المعالجات العسكرية والأمنية دون إطار سياسي واجتماعي جامع ينذر بتحوّل الأزمة من مواجهة عابرة إلى صراع داخلي مزمن، قد يفتح الباب أمام حرب أهلية محلية يصعب احتواؤها إذا لم تُكبح هذه الدينامية المتصاعدة على نحو عاجل. تمثّل الأثر الفوري للانقسام في حالة انفلات أمني واضطراب محلي، إذ أتاح الانسحاب المفاجئ لبعض التشكيلات المسلحة فراغًا في عدد من المواقع العسكرية والرسمية، ما أدى إلى تعرّضها للنهب والتخريب، وخلق شعورًا عامًا بانعدام الحماية لدى السكان. وقد أسهم هذا الواقع في تهديد سلامة المدنيين وممتلكاتهم، وعلى المدى المتوسط، قد تتجسد هذه التداعيات في انهيار إضافي لمنظومات الصحة والتعليم، وتعطّل وصول المساعدات الإنسانية، واحتمالات نزوح داخلي محدود

يتحول إلى أوسع إذا استمر التوتر. وبهذا المعنى، يواجه سكان حضرموت خطر تحوّل ثروات محافظتهم من عنصر استقرار وتنمية إلى مصدر صراع واستنزاف، بما يحمّل المجتمع المحلي كلفة إنسانية واقتصادية تتجاوز بكثير حدود المواجهة العسكرية الراهنة.

إن احتواء الانقسام المجتمعي في حضرموت ودرء مخاطر انزلاقه إلى صراع داخلي مفتوح يقتضي مقاربة متعددة المستويات، في مقدمتها إطلاق حوار محلي شامل يستند إلى مبادرات مصالحة حقيقية، تشارك فيها القيادات الاجتماعية والقبلية بوصفها صمّام الأمان التاريخي للاستقرار الحضرمي. فقد شددت شخصيات محلية ومرجعيات اجتماعية على أن وحدة الصف الحضرمي تمثل أولوية قصوى في هذه المرحلة، داعيةً مشايخ القبائل وأعيان المجتمع إلى الاضطلاع بدورهم في تهدئة التوترات وفتح قنوات تواصل تفضي إلى معالجة الخلافات خارج منطق القوة والسلاح. وفي هذا الإطار، يبرز "المجلس الحضرمي الوطني"، الذي تأسس بوصفه إطارًا تمثيليًا محليًا، ومحاولة لصياغة رؤية بديلة تقوم على حكم ذاتي إداري واقتصادي لحضرموت ضمن إطار الدولة اليمنية، بما يتيح إدارة أكثر عدالة للموارد ويخفف من شعور التهميش الذي يغذي النزاعات. وعلى المستوى الإقليمي، تكتسب دعوات السعودية لعقد مؤتمر حوار في الرياض، يضم مختلف المكونات الجنوبية، أهمية خاصة بوصفها مسعى لإعادة القضايا الخلافية إلى المسار السياسي، في مقابل التحذيرات الخليجية المتكررة من مخاطر التصعيد العسكري وانعكاساته على الاستقرار الإقليمي. ويعوّل مراقبون على أن تخلق هذه الجهود مساحة سياسية بديلة عن الفراغ الأمني، بما يحول دون تفاقم الأضرار التي لحقت بالنسيج الاجتماعي. وفي موازاة ذلك، يمكن لإجراءات إنسانية وبناءة، مثل تأمين انسحابات آمنة وتقليل منسوب الانتقام المتبادل، أن تسهم في خفض التوتر وتهيئة بيئة أقل عدائية للحوار. غير أن المعالجة المستدامة تظل رهينة خطوات طويلة الأمد تعالج جذور التشرذم، وفي مقدمتها ضمان شراكة حقيقية لحضرموت في إدارة مواردها النفطية، وإعادة بناء مؤسسات الدولة المحلية على أسس مهنية، وتعزيز مسارات التنمية الاقتصادية. وبهذا المعنى، يتقاطع إجماع المحللين على أن احتواء الانقسام لا يمكن أن يتحقق إلا عبر مصالحة محلية قبلية متجذرة في شرعية الدولة، ومدعومة بحوار جنوبي وحضرمي شامل وتعاون إقليمي صادق، يمنع تحويل حضرموت إلى ساحة صراع مفروض من الخارج على حساب استقرار مجتمعها ومستقبل مواطنيها.

النقد السياسي في رواية "صلاة القلق" بين الفانتازيا والتاريخ المتخيل.

أ.د. أحمد السري

مدخل:

لا تكاد تنتهي من قراءة صلاة القلق للروائي محمد سمير ندا، الفائزة بجائزة البوكر العربية 2025، حتى تستقر في ذهنك دهشة لذيذة يخالطها تساؤل وحيرة، تحفة روائية تتشكل من سرد متقن الصنعة، ولغة متمكنة، وبنية تُغري القارئ بالتصديق، رغم أن كل ما فيها يوحي بالخيال والمجاز.

هذا القلق الذي حملته الرواية عنوانًا، لا يقف عند حدّ المزاج النفسي لأبطالها ومصائبهم، بل يتعداه ليشمل الكاتب، وربما القارئ نفسه. قلق في مواجهة السلطة، قلق في توصيف الضحية، قلق في الحكم على التاريخ، وأخيرًا: قلق في كتابة الرواية ذاتها، كما تُظهر صفحاتها الأخيرة:

هل نجحت "صلاة القلق" في أن تكون عملًا أدبيًا ناقدًا عبر الفانتازيا والتخييل؟ أم أنها سقطت في محاكمة انتقائية للتاريخ تحت غطاء الأدب؟

أولًا: تعدد الأصوات وسؤال التكرار

تتبنى الرواية شكلًا سرديًا متداخلًا، ينتقل بين الراوي العليم، ومرويات الشخصيات التي تتحدث عن نفسها بصيغة "الأنا". هذا التنوع يضفي حيوية على البناء الفني، ويسمح بتعدد وجهات النظر، بل يبدو أحيانًا أنه وسيلة لكسر سلطة مركزية السرد عبر أصوات متنوعة تمنح القارئ انطباعا بحصول عمل تشاركي في إنجاز تحفة أدبية.

لكن مع توالي الفصول، نشعر بأن هذا التعدد تحوّل إلى تكرار. فكل شخصية تُمنح فصلًا واسعًا لتسرد تفاصيل حياتها، إلا أن هذه التفاصيل تتقاطع، بل تتشابه أحيانًا في الخلفيات والتجارب، فيكاد القارئ يشعر أنه يعيد قراءة القصة نفسها من زوايا مختلفة.

رغم ذلك، تبقى براعة الكاتب في التحكم في نبرات السرد لافتة، حتى مع ميله إلى التفصيل المفرط ، فإن الإفراط هنا يُعذر بكونه جزءا من صناعة العالم المتخيل الموبوء بالقلق.

ثانيًا: الفانتازيا : هل هي حيلة روائية ضرورية أم أداة تشويه متعمدة؟

تُقدِّم الرواية عالمًا فانتازيًا متكاملًا: انفجار غامض، مرض يحوّل رؤوس الناس إلى ما يشبه السلاحف، تمثال حديدي يتحرك في الليل، يضاجع النساء، ويهيمن على الوجدان الشعبي. هذه الصور، بما تحمله من غرائبية، لا تُفهم بمعزل عن سياقها السياسي. إنها رموز مشحونة بدلالات، تحاول مساءلة واقع سياسي مضى في زمن الرواية، وممتد إلى اليوم في العالم العربي كله.

لكن السؤال الأهم يظل قائماً: هل نجحت الرمزية في تأدية وظيفتها؟

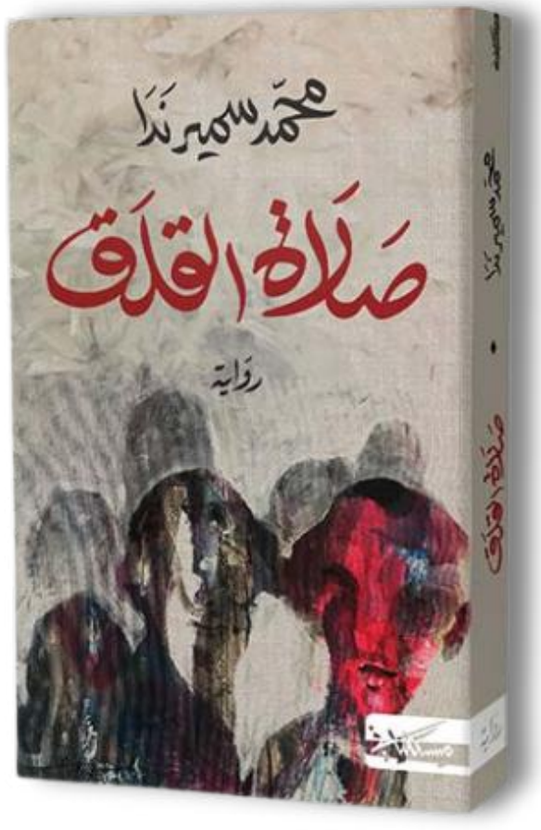

- **غلاف رواية: صلاة القلق.**

في مواضع عدة، تبدو الرموز متضخمة، أقرب إلى الكاريكاتير منها إلى الأدب الرمزي العميق، فرؤوس السلاحف التي حازها أهل نجع المناسي بعد الانفجار الغامض تبقى على ما هي عليه وكأنها عقاب جماعي، وحين يُقدَّم تمثال عبد الناصر الحديدي كائنا شهوانيا خارقا، لا يبدو القارئ أمام رمز معقّد، بل أمام إدانة صريحة مغلفة بالتهكّم. وكأن الكاتب، وقد ضاق ذرعًا بلباقة النقد، آثر أن يفجر سخطه في صورة غرائبية تتجاوز الواقع.

ثالثًا: مجتمع الضحايا أم شراكة في الانهيار؟

مجتمع "نجع المناسي"، مسرح الرواية الريفي، لا يُرسم بوصفه ضحية فحسب، بل مكان موبوء بالنفاق والخيانة والجهل استحق العقاب عبر انفجار غامض سبب له كل أشكال القلق. الكل تقريبًا مذنب، بما في ذلك أولئك الذين يُفترض أنهم في موقع المقهورين. لا نعثر على وعي مقاوم صريح، ولا على براءة خالصة، بل على شخوص تتأرجح بين النفاق وانحراف السلوك والخيانة وأشكال الخرافة المتوارثة، باستثناء شخصيتين نجتا من المرض هما الغانية الغجرية شواهي معشوقة أهل النجع، والفتى الأخرس حكيم ابن عمدة النجع، يدخلان في علاقة حميمة ويعرف مع الغجرية الحسناء معنى المرأة داخل صندق خشبي في رحلة قطار،

لكنه وقد لاحقته سيرة أمه واتهامها بالخطيئة، سيظهر في نهاية الرواية مريضا نفسيا ويكون علاجه أن يكتب، فيكتب كل الأحداث في الرواية بكل فنيتها وبلاغتها رغم أنه لم يجاوز ال١٥ عاما من العمر.

ويبقى التوصيف القاسي لنجع المناسي محيرا، إذ يثير تساؤلًا: هل كان الكاتب يبحث عن "ضحية مثالية" ولم يجد؟ أم أنه أراد أن يُظهر النظام والمجتمع في سقوط أخلاقي متبادل؟

في الحالتين، يفقد القارئ تعاطفه مع أهل النجع المقهورين سياسياً، ويغدو القلق الذي تتحدث عنه الرواية، (ببواعثه الحربية والوجودية والمرضية) ، قلقًا بلا أمل، بلا بديل، حتى الصلاة الجديدة المقترحة له بمناسكها المخترعة، تبقى بعيدة عن القبول العام ومشكوك في نفعه

رابعًا: عبد الناصر... الرمز المهدَّم

لا تخفي الرواية خصومتها مع النظام الناصري، ولا تكتفي بالنقد الرمزي له، بل تستدعي عبد الناصر باسمه الصريح في مواقع عدة، ثم تختزله في تمثال يتم تهشيم نصفه الأعلى من مجهول، لكنه يستمر في الحضور بباقي جسده ويصور مهووسٌ بالقوة الجنسية، مُبَجل علنًا ومكروه سرًّا . ويُطلق الكاتب على خطاب التنحي اسم "مناورة التنحي"، ليقلل من قيمة الحشود الجماهيرية التي دعمت ناصر ليبقى على رأس الحكم ، ويتهم الكاتب النظام بإنكار الهزيمة وتزوير الوعي الجماعي، وهو إنكار لم يحصل في الواقع بل تم الاعتراف بالهزيمة، ومن توابعها خطاب التنحي وإن دخلت الأدبيات السياسية باسم "النكسة" لتخفيف الوقع.

الرواية، رغم تصعيدها الرمزي، لا تقدّم رؤية تاريخية متوازنة. فهي لا تذكر شيئًا عن حرب الاستنزاف، أو الإصلاحات الاجتماعية أو دعم حركات التحرر من الاستعمار في العالم العربي وأفريقيا، بل تطيل في تصوير النظام ممارسا الكذب الرسمي، يدير إعلامًا يوميًا لتزوير الحقائق كما في جريدة "صوت الحرب"، التي تصدر في نجع المناسي من صفحة واحدة وتوزع رغم أمية معظم أهل النجع، وهكذا تكون هذه الجريدة شاهدة على كذب رسمي استمر عشر سنوات كاملة.

هذا التناول، رغم مشروعيته كخيال أدبي، فإنه يفتقر إلى التوازن الذي تتطلبه الرواية الجادة. إنه تناول تعوزه العدالة التاريخية، ويقع في نفس فخ "الأحادية والانحياز" الذي تنتقده الرواية نفسها.

نعم، ليس من واجب الرواية أن تنصف كل شيء، لكنها، حين تختار مواجهة التاريخ، تصبح بدورها جزءًا من لعبة التأويل السياسي. وهنا تحديدًا، تقترب الرواية من تحويل الأدب إلى بيان إدانة، بلغة رمزية، لكن الإدانة مع ذلك تبقى جلية لا لبس فيها.

التمثال... لمن؟

في الصفحات الأخيرة من الرواية، تمارس الرواية نوعًا من النقد الذاتي، حين يعود السارد ليشكك بهوية التمثال الحديدي: هل هو فعلًا لعبد الناصر؟

يبدأ هذا التشكيك عند النظر إلى قِصر قامة التمثال، ما يدفع الشخصية المتأملة إلى ترجيح شبهه بمحمد نجيب لا بعبد الناصر المعروف بطوله الفارع. ثم يتواصل التردد، وتتوالى المقارنات، لتبهت هوية التمثال عن التحديد، ويتسلل إلى ذهن القارئ احتمالٌ مختلف مؤداه أن التمثال لا يحاكي شخصًا بعينه، بل يمثل السلطة السياسية بوصفها كيانًا شموليًا، تتجسد فيه ملامح النظام كله، لا فردًا واحدًا.

هل اراد الكاتب التخفيف من نقد عبد الناصر (عبر تشكيك حكيم في هوية التمثال) وهل يلغي هذا التشكيك المتأخر طغيان الصورة النقدية المُعادية طوال الرواية؟ أم أراد الكاتب - وهو ما نرجحه- توسيع دائرة الإدانة لتشمل الأنظمة الشمولية كلها، وأن الرواية لا تحاكم زعيمًا بعينه، بل بنية سياسية كاملة.

خامسًا: الرواية والتاريخ: من يُحاكم من؟

هل أرادت الرواية أن تعيد كتابة التاريخ؟ أو تستدرك فصلا مسكوتاً عنه، أم أن ما فعلته أقرب إلى "محاكمته المتأخرة" في قاعة الأدب؟

الرواية لا تزعم ذلك صراحة، لكنها تلمّح إليه عبر بناء متخيل يُقصد به أن يكون مرآة للتاريخ. وإذا كان الأمر كذلك، فإن القارئ، بوصفه شريكًا في هذه المحاكمة، من حقه أن يسأل عن الدقة، والعدالة، والتوازن.

فحين تضع الرواية التاريخ في قفص الاتهام، تضع نفسها في الآن ذاته في مرمى التساؤل: هل نقلت صورة دقيقة؟ أم اختزلت الواقع في تمثيلات رمزية غرضية أو انتقامية؟

سادسًا: اللغة... بين الفصاحة ومستويات الوعي المختلفة

من القضايا اللافتة التي أثيرت حول الرواية، تلك المتعلقة بلغة الشخصيات. رغم أن معظمهم من الأميين، فإنهم يتحدثون بلغة فصيحة، عميقة، تكاد تقترب من "الفصحى الشعرية". هذا التنافر قد يضعف أحيانًا مصداقية السرد، ويفتح النقاش مجددًا حول: هل يحق للكاتب أن يمنح شخوصه لغة أرقى من وعيهم؟

الرأي الذي أميل إليه، هو أن اللغة الفصيحة روح الأدب وسر جماله، ولا تعني بالضرورة تزويرًا للوعي، ما دامت لا تنسب إلى الشخصية أفكارًا تتجاوز حدود وعيها. الفصاحة هنا أداة جمالية، وليست ترفًا لغويًا، لكن لا بأس أحيانًا لو خُلطت بشيء من العفوية أو المحلية، لتقريب المسافة بين الشخصية والقارئ.

خاتمة:

رواية صلاة القلق" رواية تُقلق قارئها أيضًا، فهي جديرة بالتقدير من حيث البناء، اللغة، والجرأة في مساءلة السلطة، وتفكيك الذاكرة الرسمية. لكنها، في المقابل، وقعت في فخ التعميم والانحياز،

واختزلت تاريخًا معقدًا في فانتازيا مشوهة مغرقة في السواد. الرواية عمل إبداعي له رسالته لاشك، لكنها حين تدّعي كشف الزيف، فعليها أن تتجنّب خلق زيف بديل.

في الخلاصة، تظل "صلاة القلق" رواية جميلة ومُقلقة في آن، تنجح في شدّ القارئ، وتدفعه للتفكير، لكنها تتركه أيضًا في حالة شك: هل كنت أقرأ رواية عن الضحايا؟ أم رواية تحاكم الجميع باسم الضحايا؟

• حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

فلسفة الإنسان المتفوق عند زرادشت.

الروائي. عبدالفتاح إسماعيل

زرادشت الداعي إلى تحطيم ألواح الوصايا جميعها، ذهب إلى أبعد مدى في تفحّص سرائر الإنسان وأهوائه، وحذّر من الطفرة في مسلك الفضيلة، فعلى كل فرد أن يسير في طريقه وإن جنح عن مسلك الآخرين، فقد عدا الإنسان العادي في الحياة مرحلةً من مراحل الوصول إلى الإنسان المتفوق.

الخير والشر عنده ابتكرهما البشر، وأبواق الصلاح ذريعة للسيطرة على العقول، وأصدقاؤه الأفعى والنسر إشارة إلى المكر والجموح، وغرفة عملياته لنشر أفكاره مغارته.

نيتشه، الناقل الأمين لأقوال وحِكَم زرادشت، المحايث الأول لفلسفته، «والمنظِّر للسيادة الإنسانية المتفوقة التي يرى أنها تمهّد لسبل السعادة للضعفاء، وتجعل الإنسان جبارًا كشمشون وحكيمًا كداوود، وهو يكلّف الطبيعة ما لا قبل لها به، ويطمح إلى إيجاد الجبابرة لا يصلحون لشيء في المجتمع؛ لأن الحيوية لا تتصرف من مختلف نوافذها الجسيمة في آنٍ واحد دون أن تقبض صاحبها لتوقفه من سلم الارتقاء، على مرتبة معلّقة بين الاعتلاء والانحطاط، فيكون منه الإنسان المتفوق، بل الإنسان التافه القصير الحياة، والقاصر في كل عمل يباشره» (1).

ويرى زرادشت «أن الإنسان حبلٌ منصوب بين الحيوان والإنسان المتفوق، فهو الحبل المشدود فوق الهاوية» (2). إن في العبور للجهة المقابلة مخاطرة، وفي البقاء وسط الطريق خطرًا، وفي الالتفاف إلى الوراء، وفي كل تردّد، وفي كل توقف خطرًا على خطر.

إن عظمة الإنسان قائمة على أنه مصير وليس هدفًا، وما يُستحب فيه أنه سبيل وأفق وغروب، ويفصح عن رغبته في الانضمام للمبدعين، إلى أولئك الذين يحصدون ويرتاحون، فيريهم قوس قزح والمراتب التي يرقاها الواصلون إلى الإنسانية المتفوقة، ويسير إلى هدفه واتباع طريقه، فيقفز فوق المترددين والمتأخرين، وهكذا سيكون سيره جنوحًا إلى الغرب.

الأفعوان والنسر

كان زرادشت يناجي نفسه كثيرًا، ويسمع صوتًا جارحًا في الفضاء، له نسر يعقد حلقات في طيرانه وقد تعلّق به أفعوان، وما كان النسر يقبض عليه بمخلبيه كفريسة، بل كان الأفعوان ملتفًا حول عنقه التفاف المحب. فهتف زرادشت، والحبور يملأ وجهه: هذان نسري وأفعواني؛ فالنسر أشد الحيوانات افتخارًا، والأفعوان أشدها مكرًا تحت حرارة الشمس، وكلاهما ذاهبان مستكشفين في الفضاء ليعلما ماذا كان،

إذا كان زرادشت لم يزل على قيد الحياة. ويسأل نفسه: هل أنا لم أزل حيًا بعد؟ لقد اعترضني من المخاطر بين الناس ما لم ألقَ مثله بين الحيوانات، إنني أتبع السبل الخطرة، فلاقتدين بنسري وأفعواني.

العقل:

شرح زرادشت تحولات العقل في ثلاث مراحل، فينبئنا كيف استحال العقل جملًا، وكيف استحال الجمل أسدًا، وكيف استحال الأسد أخيرًا فصار ولدًا.

فالعقل عنده يفتش عن أثقال الأحمال، فينيخ كالجمل ظهره متوقعًا رفع خير حمل إليه. وأن العقل السليم ينادي الأبطال قائلًا: أيُّ حمل هو الأثقل لأرفعه فتغبط به قوتي؟

أفليس أثقل الأحمال هو الاتضاع لإنزال العذاب بالغرور؟ أفليس أثقلها أن يُبدي الإنسان اختلالًا لتظهر حكمته جنونًا؟ أم أثقلها في تخلي الإنسان عن مطلب حين يقترن هذا المطلب بالنصر؟ أم في ارتقاء قمم الجبال لتحدي من يتحدى؟ أم أثقلها في أن يتغذى الإنسان بأقماع السنديان والأعشاب، ويتحمل مجاعة نفسه من أجل الحقيقة؟

الفضيلة:

الفضيلة عند زرادشت أن تصالح نفسك عشر مرات في النهار؛ لأنه إذا كان في قهر النفس مرارة، فإن في بقاء الشقاق بينك وبينها ما يزعج رقادك. وعليك أن تجد عشر حقائق في يومك كيلا تضطر إلى السعي وراءها في نومك، فتبقى نفسك جائعة.

وعليك أن تضحك عشر مرات في يومك لتكون مرحًا، كيلا تزعجك معدتك في ليلك، والمعدة بيت الداء. وإن من الفضائل ما هي كالغانيات المتجنيات، فأقم بينهن حائلًا كيلا ينتهين إلى عراك تكون أنت ضحيته.

المراجع والهوامش:

1،2. هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار القلم – بيروت – لبنان، بتصرّف.

- حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

وصية العاشرة.

الروائية: ذكريات عقلان

سأكتب وصيتي قبل أن أموت، ربما أموت قريبًا، تقول أمي كان جدي يكتب وصيته قبل أن يغادر منطقة إلى أخرى، وحين توفي عُثر على أكثر من ٢٠ وصية له، سألتها عن محتوى تلك الوصايا، لم تشرح لي كثيرًا، لكنها اكتفت بالقول بأنّه يكتب ديونه ويطلب السماح من الجميع.

بعد ثلاثة أشهر سينتهي عامي العاشر، وأبدأ عامًا جديدًا، ربما لن يأتي لأنني سأموت، وعدتني أمي بأن تُحدّث أبي بأن يحتفل بي هذا العام، وأن يشتري لي كيكة كبيرة، وأدعو صديقات المدرسة والحي للاحتفال معي، لكنني قد أموت قبل ذلك، لكن لماذا لا أطلبها أنا منه، وهو وعدني بأن يحضر لي ما أريد إن أنا نفذت ما أمرني به.

طلب أبي مني أن أراقب جارتنا في الحي المقابل متى تخرج ومتى تدخل، فقط حينما أسمع صوتها الكبير الذي يسمعه أغلب أهل الحي، أبلغ أبي بذلك، ووعدني بأن يحضر لي ما أريد إن أنا كتمت الخبر، في المقابل إن أنا تحدثت به سوف يقتلني خنقًا، هكذا قال.

لذا فأنا سأموت قريبًا، لأنني لن أكتم الخبر، أنا متأكدة بأنني لن أكتمه، وكيف أكتمه وأنا أُحدّث أمي بكل شيء، وصديقتي المقربة، أحكي لها كل شيء يحدث معي، أنا سأحاول لكنني لن أستطيع.

أريد أن أُحدّث أمي بذلك حتى أعرف لماذا أبي مهتم بتلك الجارة الكريهة، لو أنّه قال لي أن أترصّد جارتنا أمينة لكان خيرًا، لكن.. !اليوم هو اليوم الثالث وأنا أكتم خبر مراقبتي لجارتنا، وأحس بأنني سأنفجر، أفكر بأن أُحدّث أختي الكبرى وأبلغها أن تحكي هي للجميع حتى لا يخنقني أبي، وأفكر أيضًا أن أكتب لأمي وصديقتي في ورقة عن هذا السر، ولو علم أبي سأقسم له بأنني لم أتحدث أبدًا. صحوت الليلة الماضية وأنا أحلم بأنّ أبي يلحق بي ليخنقني، لهذا أتصبّر على الكتمان.

الكتمان أمر صعب، شاق للغاية، لهذا كتبت وصيتي:

"إلى أبي وأمي الغاليين، إلى إخوتي، كتبت هذه الوصية لأقول لكم بأنني أحبكم كثيرًا، وبأنني افتقدت الجميع في الأيام الأخيرة، أختي الكبرى وأمي لم يعودا يهتمان بي، وأبي أصبح مهمومًا كثيرًا. في فترةٍ ما علمت بأنّ إحدى صديقاتي كبرت في منزل عمتها، وأنّ عمتها تحبها كثيرًا، ففكرت لماذا لا أذهب لإحدى عماتي وأصبح ابنتها، أحس بأنني أريد عائلة أخرى؛ تشبه تلك التي كانت، لكن حينما جاءت عمتي في زيارتها الأخيرة لأمي، سمعتها تقول لأبي بأن يتزوج، وأنّ أمي تستحق ما يجري لها عقابًا لطباعها السيئة معهم قديمًا،

كانت عمتي تشبه الآنسة منشن في تلك اللحظات، وخُيّل لي لو ذهبت إليها ستجعل مني سالي الخادمة، فكرهتها، كنت أتردد بين الحين والآخر على جارتنا أمينة، وأفرح كثيرًا حينما تحتضنني فقد اشتقت لصدر أمي كثيرًا، تمنيت لو أنّ أبي فرض عليّ مراقبتها حتى أتلصص عليها بين الحين والآخر بدلًا من جارتنا عزيزة الشريرة.

أكتب هذه الوصية وأخبركم بها بأنني أريد من الجميع أن يسامحني، وأنّ ليس لديّ دينٌ لأحد، فقط في يومٍ ما، أخذت من حقيبة أختي الكبيرة نقودًا لشراء (غزل البنات) وأضعتها في الطريق، وأحسست أنّ ذلك كان عقابًا لي على فعلتي، فلم أعد أفكر في إعادة النقود ما دام أنّني لم أشترِ بها شيئًا".

ابنتكم الصغيرة منال.

كتبت تلك الوصية، وخبأتها تحت لحاف أمي، لكنّ أختي في اليوم التالي نفضت اللحاف فوجدتها مطوية، ضحكت ونادتني أن تلك إحدى رسائلي الغبية لصديقاتي أو لنفسي كالعادة، وحمدت الله كثيرًا بأنّها لم تفتحها، فهي كما تقول رسائل غبية، وفي المساء أرسلني والدي كالعادة لأتأكد من أنّ جارتنا على وشك الخروج من المنزل، وكان لطيفًا معي جدًا، وقال لي بأن أطلبه أي شيء أريد، فأعطيته الوصية، قلت له أن يحتفظ بها، ولا يفتحها أبدًا، ابتسم لي ووعدني بذلك، لكنه أخلف الوعد، فحين جاء الليل دعاني لغرفته، وقال ما هذا الذي كتبته، ولماذا، بكيت كثيرًا وقلت له بأنني خائفة لأنّه سيقتلني خنقًا إن أفشيت السر، احتضنني بقوة ومزّق الوصية، قال بأنّه متأكد بأنني لن أفشي السر، وبأنّه لن يخنقني أبدًا، غفوت على حضنه الدافئ ونسيت أمر الوصية.

تمر أيام وينسى أبي أمر جارتنا التي لا أحب، لكنه اليوم يدعوني ليحدثني بأنّه رأى ابنة جارنا الجديد، ويريد أن أراقبها وأن أعرف اسمها وتفاصيل أخرى عنها، يعدني بالكثير حتى أكتم السر، رفعت نظري إليه ووجهت عينيّ صوب عينيه، وسألته: هل إذا أفشيت السر ستخنقني؟ ضحك وقال: لا، لكن لو كتبتِ وصية مثل المرة الماضية سأذبحك.

ستعرف في الأخير أو قد لا تعرف.

صالح محمد

منذ عمر ثمانية، كان يفكر في الوجود كما يفكر الأطفال في ألعابهم.

"لو كانت الجنة فوق، لماذا لا نراها؟"

"من يقرر شكل الغيوم؟"

"ليش نموت؟ وليش أصلًا نبدأ الحياة؟"

كانت الأسئلة تخرج من فمه كشرارات، والكبار يتعاملون معها كأنها حريق:

– "حرام"

– "عيب"

– "لا تجيب لنا الوسوسة"

– "اسكت يا ولد قبل أن تكون مجنون"

كبر بداخله شعور غريب، أن هؤلاء الكبار لا يهربون من السؤال بل يهربون من أنفسهم، أو أنهم يخفون عنه شيئًا معينًا، ولأول مرة بدأ يشعر أنه مختلف لدرجة الوحدة.

كبر، ومعه كبر الجوع، لم يعد يبحث عن إجابات، أصبح يبحث عن أسباب لوجود الأسئلة نفسها.

قرأ في:

– الفلسفة

– علم النفس

– تعدد الأكوان

– الروايات

– العلم

– وحتى كتب السحر القديمة

لكنه اكتشف شيئًا أهم، وهو أن الوهم أكبر من الحقيقة، والحقيقة أعمى من أن تُرى مباشرة. صار يشعر أن هذا العالم ضيق عليه، كأن روحه أكبر من جسده.

كان يمشي في شارع مزدحم، حين رأى ورقة صغيرة ملتصقة على الأسفلت.

مد يده، التقطها، لاحظ فيها شيئًا غريبًا.

الورقة ليست مبللة رغم المطر الذي ينزل.

عليها خطوط غريبة، لا هي لغة ولا هي رسم.

إيقاع؟

نعم، الخطوط كانت كأنها ضربات أصابع على ورقة، كأن أحدهم كتب الموسيقى بدل الكلمات. حملها معه، حاول أن يفهمها، لم يستطع، سأل التكنولوجيا، الكتب، الناس.

لا أحد يفهم شيئًا.

نام وهو يحتضن الورقة.

وفي الحلم رأى نفسه يحرك الورقة بطريقة معينة، فتفتح جدارًا أبيض، أبيض يلمع كأن العمى نفسه لديه ضوء.

عندما استيقظ لم يقل: "كان حلمًا مخيفًا!"

لا، كان المنطق في عقله يقول:

"إذا العقل قادر على تخيل البوابات، فمن قال إن العالم لا يملك بوابات حقيقية؟"

لقد قرأ عن تعدد الأكوان لسنوات، حلمه لم يكن عبثًا، كان تلميحًا، شعر بأن الورقة ليست لغزًا بل دعوة.

فعل الحركة، اهتز الهواء، تغيّر ضغط الغرفة، أصبح صوته يتردد وكأنه داخل صندوق، الجدار ابتلع لونه، ثم انشق الضوء.

استيقظ فوق سرير غريب، رائحة الغرفة تشبه رائحة لم يعشها، خرج من الغرفة، رأى أمه وأباه بملابس رسمية لا يعرفها، يتحدثون بلغة لم يسمعها من قبل، لكنه يفهمها؟

نعم، يفهمها كأنها لغته الأم. كان هذا مربكًا، لكن ليس مخيفًا، المخيف هو شعوره الدفين بأن هذا المكان يعريه.

جلس معهم للأكل، كانوا لطيفين، هادئين، مثاليين، كأنهم نسخة مُحسنة من أهله.

لكنه شعر بشيء، هذه العائلة ليست عائلته، إنهم نسخة أكثر ترتيبًا فقط.

ثم قالوا له: "يلا، تأخرت على حفل التوقيع".

وحين علم أنه كاتب مشهور في هذا الكون، شعر بالنفور، لأن الشهرة هنا ليست إنجازًا، بل عبئًا، العالم كله يريد منه إجابات، فيما كان يضحك بينه وبين نفسه بسخرية:

"أنا هنا بسبب سؤال، والناس تطلب مني إجابات؟"

في حفلة التوقيع وقف أمام الجمهور، الأسئلة تنهال، كأنه مطلوب منه شرح حياة لم يعشها، كتب لم يكتبها، فكر لم يفكر به، هرب وهو ممسك بطنه:

"معدتي تؤلمني".

كره هذا الكون، لأنه قدّم له "نسخة مثالية" من حياته، نسخة لم يتعب فيها ولم يخلقها بيده، وهذا بالنسبة له كان خيانة للذات.

عاد للورقة، فعل الطقوس ذاتها ليعود لكونه وقد أشبع فضوله.

سقط هذه المرة فوق كومة نفايات، شمّ رائحة حادة: بلاستيك محترق + عفن + ماء مجاري. فتح عينيه، وجد نفسه يرتدي بدلة صفراء قذرة، وكيس قمامة بيده،

شاحنة صغيرة تنتظره، وهناك رجل أصلع يصرخ فيه:

"يلا يا حمار، اتأخرت، الزبالة لن تجمع نفسها!"

لم يفهم في البداية، ثم لاحظ بطاقة معلّقة على صدره:

عامل بلدية – قسم النظافة.

أخذ يعمل، يرفع القمامة، يتصبب عرقًا، ينحني، يشم الروائح، يتسخ، يركض خلف الشاحنة.

لكنه لاحظ شيئًا مهمًا جدًا، الناس هنا يبتسمون له، يقولون له: شكرًا، يعطيك العافية، الله يقويك.

كان هذا أول كون يشعر فيه بأن وجوده مفيد، لا عبء ولا لغز. جلس في نهاية اليوم على الرصيف، يراقب الأطفال يلعبون.

فكر:

"لو كانت قيمة الإنسان في فعله، فأنا هنا أكثر قيمةً من الكاتب المزيّف هناك، والطفل المتسائل هناك".

ولأول مرة شعر براحة، لكن راحتها لم تكن كافية ليبقى.

هناك شيء أعمق يشده، سؤال باب، رغبة في معرفة من كتب الورقة أساسًا، وفضول يقوده لمعرفة من أنا في كون جديد.

عاد للورقة، فتح البوابة.

استيقظ وهو يحمل مسدسًا، يده ترتجف، شخص يقول له بحدة: الساعة التاسعة، البداية.

وجد نفسه في كون مظلم، سماء رمادية، مبانٍ محروقة، عصابات مسلحة.

شخصيته هنا قاتل مأجور، جزء من شبكة قرارها الأول والأخير: إبادة جماعية.

جاء رئيس العصابة إليه، وجهه مليء بالندوب:

اليوم دورك أنت وفريقك، نفذوا.

لكنه شعر باشمئزاز، رفض، هرب، اختبأ في مبنى مهجور.

جلس وحده يفكر:

كل كون يعكس خوفًا أو احتمالًا مني، إلا هذا الكون، هذا عقاب. أنا هنا نتيجة سؤال لم أسأله يومًا: ماذا لو كنت شريرًا؟

قرر أن ينام قليلًا من الإرهاق، ثم يكمل تفكيره عندما يصحى.

في المنام رأى البوابة، لكن بدل الضوء يسقط في فراغ أسود، سقوط طويل بلا قاع، بلا صوت.

استيقظ مذعورًا، عرف أن المرة القادمة قد تكون الأخيرة.

رجال العصابة اقتربوا، سلاحهم يلمع.

ركض، أمسك الورقة، أعاد الحركة، البوابة انفتحت.

أمه تبكي على جسده، أبوه يقف مصدومًا.

الطبيب يغطي الجسد، ثم يكشف وجهه للحظة:

منذ يومين ونحن نحاول، لكن انطفأت جميع أعضاء جسده اليوم.

شباك مهجور!

ليلى حسين علي

حينما لملمتُني
رتبتُني
مسحت الغبار من عليّ..
نفضتُني
أنا..
الغبار القديم
أنا..
أحجية بلهاء..
سأم الغائبون عن سردها..
فقد التشويق حبكتها
نسيها الحل ونسيته..
أنا..
كف الحيرة
دون أن يجرؤ على قراءتِها مجنون..
دون أن يتشبث بها غريق
نسيها الشرود ونسيته..
أنا..
بقايا موتى أوفياء
أحمل صندوقًا متخمًا بالتذكارات..
تذكار تلو تذكار بجوار دمعتين..
نسيتنا الذكرى والوشم على الرأس

أنا
عودٌ مؤبد
حزنٌ وبكاء
حزنٌ وبكاء..
شعر آخر الليل يُنشد
يُنسى ولا يُردد..
أنا
خرافة حزينة
ترويها أمي
عن سنٍ تحت المخدة نضعه
ليصير في الصباح ابتسامة
إذ يأتي الصباح
ينسى مهمته ورائحة الخبز..
أنا
الوحيدة التي لا يغيب حزنها آنية..
لينساها أو لتنساه
كل الأحزان ستبقى وكل الذكرى الآن...

***

بداخلي حُزنٌ، وتناقض..

لا يسمحان لي بأخذ حصتي من الكعك الذي يباع في

ساحات الحياة..

يا صاحِبيَّ أنا لا أنام ولا أستيقظ..

لا أجيد الرقص أو الغناء

كلها ادعاءات للنسيان والبكاء هو الحقيقة..

يا صاحِبيَّ تناولا فُكاهتي أيضًا..

لا تُهرِجا على مسرح السيرك القديم القابع ما وراء قلبي

لا تلونا حُزني

سيضحكُ الجمهور وأتنهدُ مع التصفيقة الأخيرة..

تنهيدة ذات لونٍ لن يسمعه أحد

***

أحن لي بين الرفاق..

أحن.. لمذاق الشاي الممتزج بالضحكات..

بداخل رأسي

ذكرى حزينة

أحجية مات ساردُها

أغنية بنوتات عالية

ظننت أني نجوت..

بعد ركضٍ دون جدوى

وانحناءات المشاعر

تاه الوصول إلى الوصال..

نافذة رديئة الطالع..

لا يمكن رؤية شمسها سوى لمحة وقت الغروب..

وعندما تبكي حناياها

يأتي مواساة ضوء القمر..

هذا الحزن الممل..

لم يعد زائرًا..

أقام حتى

لملمت الروح كراكيب نورها

وهاجرت نحو عتمة بعيدة

للتيه أوجهٌ أخرى

ومواطن دون البحر والصحراء

للتيه معركة جديدة..

رسمية... التي لم تسمع المطر.

شمس جبلة

تعال أخبرك الحقيقة

خلال أربعة وعشرون ساعة كان الأمر على ما يرام

حدثت مشكلة تجاوزناها، فوق كومة حجارة جوار المنزل كان ذيل الضب يتدلى، قفز نصفه الأعلى كما لو أنه يبحث عن ذيل جديد

تساءلت رسمية هل سيموت أم سيبحث عن ذيله،

قلت لها إنه سيعود إلى منزله وهناك ستسلفه زوجته ذيلها

تدلت نظرات الخوف من على عيون رسمية، رسمية لا تحب القسوة ولا المناظر المقززة، رسمية لا تحب أكل الجراد ولا الاقتراب منها.. أمسكت بذيل الضب ووجهته باتجاهها

ـ إذا علم أحد بأنني من أساعدك على الخروج

سأضعه في ظهرك.. وستموتي

رسمية تحب الحياة.. تحبها كثيرًا، منذ أن كانت في السابعة كانت تفرح باللعب خارج المنزل، كبرت قليلًا بخجل شديد أصبحت أمسك بطرف ساعدها لتخطو.

لأربع وعشرون ساعة كانت رسمية على ما يرام،

خرجت بعدها تبحث عن قروس الطلح تطحنها بفمها ترمي ببقاياها بعيدًا.

قلت لها لا يصلح أن تخرج اليوم، الجو بارد للغاية، وغائم

ـ رسمية انظري.. إلى أعلى السحاب أخشى أن تلتف علينا

طرأ نوعًا من الخجل على عينيها بدت وكأنها تتذكر أحد ما،

رسمية، تحلم بأغنية وقدمين سليمين، وتحلم أن تمد يديها لتصل إلى السماء البعيدة

ـ رسمية إنه المطر.. رسمية لم تستجب أبدًا، كانت تسمع كلماتي أنا متأكد من ذلك، لكنها تنصت للبعيد، نظرتْ إلى قدميها

والتفت إلى السحب.. مرت نصف ساعة وأنا أحاول أن أقنعها أن تعود معي إلى البيت، رسمية ليست أختي بل ابنة عمي

وبحكم أننا نعيش معًا في البيت الكبير فإننا نعتبرنا إخوة لكن رسمية ذات القدمين الملتويتين ليس من عادتها الخروج

منذ صغرها لم يسمح لها والديها بالخروج، يعتبرون وجودها عيبًا

في الأسرة.. لطالما سمعت أباها يجيب على أسئلة الناس أنه لا يوجد لديه بنات.

للحظة شعرت بنغزة في صدري

ماذا لو بحث عنا أبيها أو أمها ورأونا معًا

لو عرف أنني من أساعدها على الخروج إلى الحقل وحديقة المنزل وبيت الجيران

ما الاتهامات التي سيرموني بها؟

سيشتكوني لأبي، سيقولون إنني من جلبت العار إليهم وأنني أخرجها بالذات ليعلم الناس أن ابنة عمي بقدميين ملتويتين

ـ أبي سيضربني.

سيخبرون جدي.. جدي الذي يشتكي من جرثومة المعدة، منذ أن ولدت رسمية.. سيزوجني بها!!

التفتُ مجددًا إليها

رسمية كانت تلعب بالطين،

ـ طين يا رسمية.. طيييين

أبعدته بنفسي عن يديها

رسمية فقدت حاسة السمع.. لا أدري

لكني أحاول أن أشير إليها بدون جدوى

عادت الفكرة تطرق رأسي،

ماذا لو أرغموني على الزواج بها!

رسمية لم تعد صغيرة بل تعدت الثالث عشر، لكنها ترفض الإنصات إلي.. ورغم صراخي لم تلتفت

. لم أجد طريقة لتهريبها من المطر

فأنا لم أجرؤ بعد على أخذها من تلابيبها وجرها إلى المنزل

المطر كان يزيد، والرياح تعبث بالمطر وبوجوهنا شعرت بأنه سيغمى على عيني

ـ رسمية المطر سيشتد أكثر.. هيا

تركتها وأسرعت إلى المنزل، لم يسأل أحد عن رسمية، كانت العاصفة شديدة ورسمية تحاول.. ألقيت نظرة عليها من النافذة وكانت تحاول أن تفعل شيئًا.. التفتت نحوي أم لا

كان والدي في مجلسه، وجدي وبعض أعمامي كانوا يخزنون، دخلت إليهم جلست. لدقائق، عبثت بورقتي قات

لا أدري ما الذي يجب علي فعله

هل أخبرهم،

سيتساءلون عمن أخرجها، لم خرجت؟

ولم يحدث أن علم أحد باعتيادها الخروج بمفردها لجلب قروس الطلح ومضغها..

يدور في رأسي تأنيبهم... تأنيبهم سيئ كلماتهم وقحة.. أعرف ذلك، وإن علم جدي سيكون عار العائلة كله بين يدي،

أقنعت نفسي بأن الأمور ستكون على ما يرام

بمجرد أن ينتهي المطر

ركضت ما إن انتهى المطر،

كانت رسمية كومة من البرد،

كانت بيضاء كحبة برد كبيرة، بكت أمي وأعمامي، جاء أباها متأخرًا لكنه بكها أيضًا، جدي وقف شامخًا كأنه تخلص من جرثومة معدته وإلى الأبد. تجمدت كأنها صخرة.

لم ينتبه أحد لنظراتي المصلوبة على جسدها

أصرخ لنفسي

ـ هي لم تحاول أن تسمعني.

• حقوق هذه اللوحة محفوظة لمركز جدل للسلام.

مجلـة أوام الثقـافية

مجـلة ثقـافيـة، فصليـة، غيـر هـادفـة للـربـح، صادرة عن مركز جدل للسلام. نسعـى لنشـر ثقـافـة السـلام و التعـايـش.

مجلـة أوام الثقـافية مستقـلة و لا تتبـع أو تستقـي أوامـر أي جهـة سـواء كـانـت حكـوميـة أو مكـوّن سيـاسـي أو دينـي أو تنظيمـي غيـر ربحـي.

الحقـوق الثقـافيـة :

جميـع الحقـوق الفكـرية محفـوظة للمجلـة و لا يجـوز الاقتبـاس أو إعـادة النشـر إلا بـذكر المجلـة و الصفحـة كمصـدر.

لأن مجلـة أوام الثقـافيـة غيـر ربحيـة فهـي تسمـح بطبـاعـة هـذا العـدد من المجلـة و تـداوله و بيـعه.

jaadal.org @jaadalorg info@jaadal.org